خطوبة

قصة غير محتملة الوقوع إطلاقاً في فصلين
(كُتبت في ١٨٣٣).

الشخصيات

آغافيا تيخونوفنا	ابنة تاجر، الخطيبة.
أرينا بانتيليمونوفنا	عمتها.
فيكلا ايفانوفنا	الخطابة.
بودكليسين	موظف من الدرجة الراقية.
كوتشكاريوف	صديقه.
بايتشنيتسا	مسؤول إدارة.
انوتشكين	ضابط مشاة متقاعد.
جيفاكين	بحارز
دونياشكا	وصيفة.
ستاريكوف	تاجر في سوق المدينة.
ستيبان	خادم بودكليسين.

الفصل الأول

المشهد الأول

(غرفة أعزب).

بودكليسين (يرقد وحده على الأريكة يدخن غليوناً).

حالمـا تخلو إلى نفســك في أوقات الفراغ لتفكـر حتى ترى من الضروري أن تتزوج في آخر المطاف. وماذا في ذلك في الواقع؟ أنت تقضي أيامك ولياليك، إلى أن تسوء حالتك في النهاية. آه، فوّت عليَّ عيد الفطر مرة أخرى. يبدو أن كل شيء جاهز، والخطّابة تتردد عليَّ منذ ثلاثة أشهر. أشعر بالخجل من نفسي حقاً. أسمع، يا ستيبان.

المشهد الثاني

(بودكليسين و ستيبان).

بودكليسين: ألم تأتِ الخطابة؟

ستيبان: لا.

بودكليسين: هل كنتَ عند الخياط؟

ستيبان: كنتُ.

بودكليسين: هل هو يشتغل في خياطة الفراك؟

ستيبان: نعم.

بودكليسين: وأنجز كثيراً؟

ستيبان: نعم، إلى حد ما. بدأ يدرز العروات.

بودكليسين: ماذا تقول؟

ستيبان: أقول بدأ يدرز العروات.

بودكليسين: ألم يسأل لماذا يحتاج سيدك إلى بدلة فراك؟.

ستيبان: لا، لم يسأل.

بودكليسين: ربما قال ألا يحب السيد أن يتزوج؟

ستيبان: لا، لم يقل شيئاً.

بودكليسين: على كل حال، هل رأيت عنده بدلات فراك أخرى؟ فهو يخيط للآخرين أيضاً؟

ستيبان: نعم، عنه بدلات فراك كثيرة معلّقة.

بودكليسين: على العموم أظن قماشها أسوأ من قماش بدلتي؟

ستيبان: نعم، قماش بدلتك يبدو أكثر رونقاً.

بودكليسين: ماذا تقول؟

ستيبان: أقول قماش بدلتك يبدو أكثر رونقاً.

بودكليسين: طيب، طيب. ألم يسأل لماذا يفصّل سيدك بدلة فراك من قماش ناعم فاخر؟

ستيبان: لا.

بودكليسين: و لَمْ يتطرق إلى أنني أريد أن أتزوج؟

ستيبان: لا، لم يذكر ذلك.

بودكليسين: على كل هل قلت ما هي رتبتي، وفي أي دائرة أعمل؟

ستيبان: قلت.

بودكليسين: وبماذا علّق؟

ستيبان: يقول سأبذل جهدي.

بودكليسين: طيب، اطلع، الآن.

(ستيبان ينصرف).

المشهد الثالث

(بودكليسين وحده).

أعتقـد بدلة الفراك السوداء أكثر اعتبـاراً، الملوّنة تليق أكثر بذوي الرتب الصغيرة، بأناس تافهين. وذوو الرتب الأعلى يجب أن يراعوا مـاذا يسمونـه... أوه، نسيت الكلمة! كلمة لطيفـة، ولكن نسيتها. نعم، يا مولاي، مهما قلّبـت الأمر مع نفسك فإن رتبتك تعادل رتبة عقيد. سوى أن بزّتك بلا كتافيات. ستيبان، تعال!.

المشهد الرابع

(بودكليسين وستيبان).

بودكليسين: اشتريت دهاناً للحذاء؟

ستيبان: اشتريت.

بودكليسين: من أين اشتريته؟ من الدكان الذي قلت لك عنه، في شارع فوزنسينسكي؟

ستيبان: نعم، منه بالضبط.

بودكليسين: والدهان جيد؟

ستيبان: جيد.

بودكليسين: وهل جربت دهن الجزمة به؟

ستيبان: جرّبت.

بودكليسين: وتلمع؟

ستيبان: تلمع جداً، على أحسن ما يرام.

بودكليسين: وحين أعطاك الدهان ألم يسأل لماذا يحتاج سيدك إلى مثل هذا الدهان؟

ستيبان. لا.

بودكليسين: ألم يقل أن سيدك ينوي الزواج؟..

ستيبان: لا ، لم يقل شيئاً.

بودكليسين: طيب، اطلع.

المشهد الخامس

(بودكليسين وحده).

الجزمة تبدو لا شيء في الوهلة الأولى، ولكن، إذا كان فصالها رديئاً، والدهان علاوة على ذلك أصفر على أحمر، عند ذاك لا تجد احتراماً في المجتمع الراقي. لا يستقبلونك بالقدر اللائق من الاحترام... ولكن لا شيء اكثر إزعاجاً حين تخلف في قدميك مسامير. أنا مستعد أن أتحمل كل شيء ما عدا مسامير القدم. تعال، يا ستيبان.!

المشهد السادس

(بودكليسين و ستيبان).

ستيبان: ماذا تأمر؟

بودكليسين: هل قلت للإسكاف أن يصنع جزمة لا تخلف مسامير في القدم؟

ستيبان: قلت.

بودكليسين: وماذا يقول؟

ستيبان: يقول، حسناً.

(ستيبان ينصرف).

المشهد السابع

(بودكليسين، وبعد ذلك ستيبان).

بودكليسين: الزواج شيء متعـب، عليه اللعنة! تقوم بهذا وتفعل ذاك. ليكـون سليمـاً صالحـاً. أوه، مـا ألعنـه، ليس بالسهولة التي يتصورها الناس. اسمع، يا ستيبان!.

(ستيبان. يدخل).

أردت أن أقول لك أيضاً...

ستيبان: العجوز وصلت.

بودكليسين: ها، وصلت، أدعها إلى هنا.

(ستيبان ينصرف).

آوه، هذا شيء... يعني شيء.... شيء صعب.

المشهد الثامن

(بودكليسين وفيكلا)

بودكليسين: أهلا، أهلا، يا فيكلا إيفانوفنا. طيب؟ كيف؟ تناولي مقعداً، واجلسي، واحكي لي. طيب، كيف وكيف؟ كيف هي، اللي اسمها... نسيت... ملانيا؟

فيكلا: أغافيا تيخونوفنا.

بودكليسين: نعم، نعم، أغافيا تيخونوفنا. أظنها آنسة في الأربعين؟

فيكلا: لا، أبداً. يعني إذا تزوجتها ستمتدحني وتشكرني طوال عمرك.

بودكليسين: تكذبين يا فيكلا ايفانوفنا.

فيكلا: كبرت على الكذب، يا عم، الكلب يكذب.

بودكليسين: وجهاز العروس، الجهاز؟ أعيدي الكلام عنه مرة أخرى.

فيكلا: جهاز العروس بيت آجري في الحي الجنوبي، من طابقين، يأتي بأرباح تفتح النفس، أحد التجار يدفع سبعمئة على حانوته فيه. وحانة في سرداب تجذب الزبائن الراقيين. وملحقان من الخشب، الملحق الأول خشبي كله، والملحق الثاني له أساس من الحجر. كل واحد منهما يعطي أربعمئة روبل ربح. ويوجد أيضاً بستان خضراوات في ناحية فيبرغسكايا استأجره تاجر قبل سنتين كان يزرع الكرنب فيه، ويا عيني عليه من تاجر، لا يضع قطرة خمر في فمه، وله ثلاثة أبناء. زوَّج اثنين منهم، والثالث يقول عنه ما يزال صبياً،

ويتركـه في حانوتـه ليساعده في البيع. يقول أنـا عجوز فليجلس في الدكان ليسهل عليَّ البيع.

بودكليسين: وهي، كيف هي؟

فيـكلا: مثل السكر الصافي! بيضاء مـوردة، جمال وعافية. آخر حلاوة! يعجز اللسان. ستكون مرتاحاً إلى هنا (تشير إلى حنجرتها). أقصـد ستقـول للصديق والعـدو: «الشكر، الشكـر الجزيل لفيكلا ايفانوفنا».

بودكليسين: ولكنها ليست من عائلة راقية.

فيـكلا: ابنة تاجـر عال العال، حتى الجـنرال لا يأنف من الزواج منهـا. لا تريد حتى أن تسمع باسم تاجر إذا تقدم لخطبتها. تقول لي: «أريـد زوجاً مـن الأشراف حتى لو كان دميـم الخلقة». وأي ظرف وكياشـه! وفي أيام الآحاد حين تلبـس فستانها الحريري وتهفهف به وحق المسيح لا تحسبها إلا أميرة.

بودكليسين: أنـا أسألك لأنني مستشار برتبـة مقدم، يعني أريد، أنت تفهمين...

فيـكلا: أكيد أفهم وكيف لا أفهم. كان عندنا خطيب برتبة مقدَّم أيضـاً، ولكنهم رفضوه، لم يعجبهم. وكان لـه طبع عجيب غريب، لا يقـول كلمة إلا ويكـذب، بينما كان لطيف الشـكل من الخارج. ما العمل؟ هكذا خلقـه الله. هو نفسه غير مرتاح من ذلك، يعني من كذبه المستمر ولا يقدر أن يقاوم نفسه، هذه إرادة ربنا.

بودكليسين: طيب، غيرها، لا توجد أخريات؟

فيكلا: ولماذا تريد غيرها؟ هذه أجمل البنات.

بودكليسين: تظنينها أجمل البنات؟

فيكلا: حتى ولو فتشت الدنيا كلها، لن تجد مثلها.

بودكليسين: سنفكر يا امرأة سنفكّر. تعالي بعد غد. أنا وأنت بهذا الشكل، يعني تعرفين. أنت تحكين لي، وأنا مستلق...

فيكلا: ولكن، اعذرني يا محترم! أنا منذ شهرين أجيء إليك. وما من فائدة، أراك دائماً في روبك، تدخن الغليون، ولا يطلع منك شيء.

بودكليسين: وأنت تتصورين الزواج مثلما أقول للخادم «اسمع، يا ستيبان، هات الجزمة!» وألبسها وفي أمان الله؟ يجب أن أفكر، أعاين.

فيكلا: و لم لا؟ عاين، إذا كنت تريد. ما وجدت البضاعة إلا لهذا. اطلب قفطانك مادام الوقت صبحاً، واذهب وعاين.

بودكليسين: الآن؟ انظري أي جو ماطر الآن. أخرج ويصيبني المطر فجأة.

فيكلا: ولكن ستندم! الشيب يطل في رأسك، وعن قريب إذا فاتك الزواج لا تعتب علي. وكأن الدنيا قحطت من رتبة مقدَّم! مثلك من العرسان نغرفهم غرفاً، أما خطيبتنا فنختار لها عريساً فاخراً.

بودكليسين: ما هذه الثرثرة؟ ماذا جرى لك لتقولي فجأة أن الشيب قد خط رأسي. أين الشيب في شعري؟ (يتلمّس شعره)..

فيكلا: لا يمكن بدون شعر أشيب، هذا مصير الإنسان. فلا تتعنّت! هذه لا تعجبك وتلك لا تعجبك. عندي ضابط قبطان لا تصل أنت حتى إلى كتفه. وإذا تكلم كان عالي الصوت كالبوق. يشتغل في الأميرالية.

بودكليسين: أنت تكذبين، سأنظر في المرآة، من أين اختلقت الشعر الأشيب؟ يا ستيبان، هات المرآة! لا، انتظر، سأذهب بنفسي. لا سمح الله، هذه أسوأ من الجدري. (ينصرف إلى حجرة مجاورة).

المشهد التاسع

(فيكلا وكوتشكاريوف يدخل راكضاً).

كوتشكاريـوف: كيف الحال يـا بودكليســين؟.. (يرى فيكلا) كيف، أنت هنا؟ آه، يا لك! ... يا رب! لماذا زوجتني؟

فيكلا: وما وجه العيب؟ قمت بما يقتضي الشرع.

كوتشكاريـوف: قمـتُ بما يقتضي الشـرع! وكأن الزوجة روح الحياة! ألم يكن في إمكاني الاستغناء عنها؟

فيكلا: ولكن أنت الذي كنت تلح! زوِّجيني يا جدة، زوجيني.

كوتشكاريوف: آه منـك، أيتها الفارة الملعونـة... طيب، ولماذا أنت هنا؟ هل معقول بودكليسين يريد...

فيكلا: و لم لا؟ نعمة من الله.

كوتشكاريـوف: الله! آه، الحقـير، لم يقـل لي شيئاً عـن هذا. أي شخص هو؟ شاطر! يعني بالخفية؟..

المشهد العاشر

(نفس الشخصين و بودكليسين يحمل مرآة يتمرّى فيها باهتمام شديد).

بودكليسين: أين الشعر الأشيب؟ لماذا تكذبين؟ لا أثر له أبداً!.

كوتشكاريوف: (يتسلل من الخلف، ويثب عليه) بووم!

بودكليسين (يصرخ وتقع المرآة من يده): مجنون! لِمَن لم هذا.. ما هذه السخافة؟ أرعبتني، حقاً، حتى طفرت روحي إلى حلقي.

كوتشكاريوف: طيب، لا بأس، كنت أمزح.

بودكليسين: وأي مزاح هذا؟.. حتى الآن لم أصح من خوفي. والمرآة انكسرت، و لم يأتني بها أحد هدية. مشتراة من المخزن الإنجليزي.

كوتشكاريوف: طيب، يكفي. سأجد لك مرآة أخرى.

بودكليسين: أي نعم، تجد. وأنا أعرف المرايا الأخرى. تجعلك أكبر من عمرك عشر سنين بالتمام، وتعوج خِلْقتك.

كوتشكاريوف: اسمع، كان بالأحرى أن أزعل أنا عليك أكثر. فأنت تخفي عني كل شيء، وأنا صديقك. نويت أن تتزوج؟..

بودكليسين: آوه، هراء. لم أنوِ إطلاقاً.

كوتشكاريوف: دليل الاتهام موجود. (يشير إلى فيكلا، ها هي واقفة. ومعروف مَنْ هي، طيب، لا بأس، لا بأس. لا يوجد ما يحرج. هذا ما أمر به الدين، بل وضروري للوطن. كلفني بالأمر. سأقوم أنا بكل شيء نيابة عنك. (إلى فيكلا). طيب، تكلمي عن

الحيثيـات، كيف وكيف؟ أهي من الأشـراف، أو من عائلة موظفين، أو من أهل التجارة، وما اسمها؟..

فيكلا: أغافيا تيخونوفنا.

كوتشكاريوف: أغافيا تيخونوفنا. برانداخليستوفا؟

فيكلا: لا ، كوبرداغينا.

كوتشكاريوف: تسكن في شارع الدكاكين؟..

فيكلا: لا، قطعاً، أقرب إلى شارع بيسكي، في زقاق ميلني.

كوتشكاريوف: أي، نعم، في زقاق ميلني، وراء الدكان مباشرة، بيت خشبي؟

فيكلا: لا وراء الدكان، وراء حانة في سرداب.

كوتشكاريوف: كيف وراء حانة في سرداب. لا أعرف ذاك.

فيـكلا: اسمع حـين تستدير إلى الزقاق سيكـون أمامك كشك، وحين تعـبر الكشك، انعطف إلى الشمـال، وسيكون أمامك، يعني سيكون أمامك بيت خشبـي تسكن فيه خياطة كانت تعيش من قبل مع سكرتير في المحكمة العليا لا تدخل إلى بيت الخياطة، ولكن وراء بيتهـا رأساً بيت ثان، حجري، هذا هو بيتها، أقصد الذي تسكن فيه العروسة أغافيا تيخونوفنا.

كوتشكاريوف: طيب، طيب، سأتصـرف أنا بكل هذه الأشياء. والآن انصرفي. لا نحتاج إليك بعد الآن.

فيكلا: كيف كيف؟ يعني أنت الذي سيقوم بالخطوبة؟

كوتشكاريوف: أنا، أنا، شرط أن لا تعرقليني.

فيـكلا: آه، يا كافر! هذا ليس من عمـل الرجال. تخلَّ، يا شيخ، أرجوك.

كوتشكاريـوف: اطلعـي، اطلعـي! أنـت لا تفهمـين شيئـاً، لا تعرقليني! قفي عند حدك. انصرفي.

فيـكلا: لا تعرف إلا قطع رزق الناس، أيها الكافر! يدخل نفسه في هذه الوحلة. لو كنت أعرف لما قلت له. (تنصرف مغتاظة).

المشهد الحادي عشر

(بودكليسين وكوتشكاريوف).

كوتشكاريـوف: طيـب، يـا أخ، لا يجـوز تأجيل هـذه المسألة لنذهب.

بودكليسين: ولكنني لم أقرر بعد. مجرد أنني فكرت...

كوتشكاريـوف: بسيطة، بسيطة. فقـط أن لا ترتبك سأزوجك قبـل أن تعرف. سنذهـب إلى العروسة الآن، وسـترى كيف يتم كل شيء في لحظة خاطفة.

بودكليسين: وما الداعي الآن!

كوتشكاريـوف: طيب، وماذا في ذلك، أرجوك وماذا في ذلك؟ انظـر إلى حالك: أي فائدة من حالـة العزوبية؟ انظر إلى غرفتك. أي شـيء فيها؟ هـا هي جزمتك غـير منظّفة. وها هو حوض الغسيل، وكومـة من التبغ على الطاولة. وأنت راقـد كالخُلْد في جحره طوال النهار على جنبك.

بودكليسين: هذا صحيح. أموري بلا ترتيب. أنا أعرف ذلك.

كوتشكاريـوف: طيب، وحالما تكون لك زوجة يتغير عندك كل شيء فـلا تعرف حتى نفسك. ستكون لديـك أريكة، وكلبة صغيرة وحسّـون صغير في قفص، وشغل إبرة.. وتخيّـل أنك جالس على الأريكة، وإذا بابونه حلوة تجلس قربك، وتأخذ بيدها...

بودكليسين: نعم، وحق الشيطان. أية أيد حلوة، بالفعل كالحليب، يا أخ، حقيقة.

كوتشكاريوف: وأين أنت من هذا! وكأنما الأيدي فقط!..

لهـن، يا أخ... طيـب، لا فائدة من التعـداد!... عندهن أكثر مما يعرفه الشيطان نفسه.

بودكليسـين: إذا أردت الحقيقـة. أنـا أحـب أن تجلسـ حلـوة بقربي....

كوتشكاريـوف: انظر كيـف استوعبت الموضـوع... والآن ما عليـك إلا أن تقـرر. لن تتعـب نفسك بأي شيء. أنـا الذي سأرتب مأدبـة الزفاف وغير ذلـك... دوزينة من قنـاني الشمبانيا، ولا يمكن أقـل من ذلـك في أي حال من الأحـوال، ولك أن تفعـل ما تشاء. ونصـف دوزينة من نبيض «الماديرا» الحلو من كل بد. لأن للعروسة، علـى الأغلب، جمعـاً من العمـات والخالات والقريبـات. وهنَّ لا يتنازلـن عـن شرب النبيـذ. أما نبيذ الريـن، فسأهملـه، وإلى جهنم. كلامـي صحيح؟ ها؟ أمـا فيما يتعلق بالطعام فأنـا أعرف نادلاً لدى القصـر، يملك، ابن الكلب، قدرة على الإشباع حتى لا يجعلك تقدر أن تقوم من المائدة.

بودكليسين: عجيب، أنت تتكلم بحرارة شديدة، وكأن الزفاف صار أمراً واقعاً.

كوتشكاريوف: و لَمَ لا؟ و لِمَ التأجيل؟ فأنت موافق؟

بودكليسين: أنا؟ لا، أبداً... أنا حتى الآن لم أوافق نهائياً.

كوتشكاريـوف: غريبة جداً! ولكنك قبل لحظـات أعلنت أنك تريد.

بودكليسين: كنت أقول فقط لا ضرر منه!

كوتشكاريوف: كيف هذا، أرجـوك! كانت المسألة كلها... ثم كيف؟ معقول أن الحياة الزوجية لا تعجبك؟

بودكليسين: لا... تعجبني.

كوتشكاريوف: ماذا، إذاً، ما الذي أوقفك؟

بودكليسين: لم يوقفني شيء... ولكن غريب...

كوتشكاريوف: ما وجه الغرابة؟

بودكليسين: غريب طبعاً، كنت طول عمري أعزب. والآن على غفلة أصير متزوجاً.

كوتشكاريوف: آوه، آوه، ألا تخجل من نفسك؟ يتهيأ لي أن الكلام معك يجب أن يكون بجد. سأتكلم بصراحة، كما يتكلم أب مع ابنه، طيب، انظر، انظر إلى نفسك بإمعان، كما تنظر إليَّ الآن، مثلاً، أي شيء أنت الآن؟ مجرد خشبة، وليست لك أية أهمية. طيب، أي شيء أنت الآن؟ مجرد خشبة، وليست لك أية أهمية. طيب، لأي شيء تعيش؟ طيب، انظر إلى نفسك في المرآة، ماذا ترى أمامك؟ وجه أبله ولا أكثر. في حين، ولك أن تتخيل، سيكون حولك أطفال، وليس اثنين أو ثلاثة، بل ستة، ربما، وكلهم يشبهونك شبه قطرة بقطرة. أنت الآن وحيد، موظف من الدرجة الراقية، رئيس أو مدير إدارة والله أعلم. ولكن عندما ستتزوج، تصوَّر، سيحوم حولك ستة صغار ممن سيكونون موظفين من الدرجة الراقية، ومدراء إدارات ورؤساء أقسام، وصغير آخر عفريت يمد لك يديه الصغيرتين يريد أن يمسك فودك، بينما أنت تنبح عليه كالكلب لتخيفه: واو، واو، واو! طيب قل لي: هل هناك أحسن من هذا؟..

بودكليسين: لن يكونوا إلا شاطرين في المشاكسة. يتْلِفون كل شيء، ويبعثرون الأوراق.

كوتشكاريوف: ليشاكسوا. ولكنهم سيكونون مثلك في الشكل. وهذه هي النعمة.

بودكليسين: صحيح، بالفعل، بل ومضحك. الشيطان يعلم. وربما سيكون لي طفل صغير، ذو وجه مدور، جرو، يشبهني في الشكل.

كوتشكاريوف: وكيف لا، مضحك بالطبع، طيب، لنذهب.

بودكليسين: اتفقنا، لنذهب.

كوتشكاريوف: يا ستيبان! أسرع وساعد سيدك على ارتداء ملابسه.

بودكليسين (يرتدي ملابسه أمام المرآة): أظن أحسن لو لبست الصدار الأبيض.

كوتشكاريوف: سخافة. لا أهمية لذلك.

بودكليسين: (يلبس الياقة) الغسالة الملعونة نشّت الياقة بشكل سيء فلا تنتصب على رقبتي. قل لهذه الحمقاء يا ستيبان، إذا كانت ستكوي البياضات بهذا الشكل فسأستخدم غسالة أخرى. أظنها تقضي وقتها مع عشيقها ولا تكوي.

كوتشكاريوف: طيب، يا أخ، استعجل! أنت بطيء!...

بودكليسين: حالاً،حالاً (يلبس سترة الفراك، ويجلس) اسمع، يا إيليا فوميتش، أتدري؟ اذهب أنت لوحدك.

كوتشكاريوف: معاذ الله، هل فقدت عقلك؟ اذهب لوحدي! ولكن مَنْ سيتزوج من بيننا: أنا أم أنت؟

بودكليسين: في الحقيقة، ليست لدي رغبة، الأفضل أن نؤجلها إلى الغد.

كوتشكاريوف: هل لديك ذرّة من العقل؟ أهبل أنت أم كيف؟ تهيأت تماماً، وفجأة «ليس لدي رغبة!» قل لي أرجوك ماذا أسميك بعد هذا، خنزيراً أم وغداً؟

بودكليسين: و لم هذه الشتيمة؟ بأي موجب؟ ما فعلت لك؟

كوتشكاريـوف: أحمـق، أحمق مكعب. كل إنســان سيصفك بذلـك. بليد، بليد تمامـاً، ولو أنت رئيس قســم. ولأي شيء أجاهد أنا؟ لفائدتك. اللقمة تستل مـن فمك. الأعزب الملعون مستلق على فراشه! خبرني أرجوك، أي شيء أنت؟ خرقة، طرطور، كنت أريد أن أستعمل كلمة أخرى... ولكن لا يليق بي. حرمة! أسوأ من حرمة!

بودكليســين: وأنت صاف مصفى! (بصوت خافت) هل عقلك معـك؟ الخادم واقف هنـا، وأنت تشتم في حضـوره، وبأية كلمات أيضاً. لم تجد مكاناً آخر تشتم فيه.

كوتشكاريـوف: وكيف لا أشتمك؟ ومَـنْ يمكن أن لا يشتمك؟ ومَـنْ يصطـبر عليـك ولا يشتمـك؟ أنت كرجـل معتبر قـررت أن تتـزوج، واستهديت بالعقـل والحصافة، وفجأة، فقـدت رشدك، يا رأس الخشب...

بودكليسين: طيب، يكفي. أنا ذاهب، فلِمَ هذه الشتيمة؟..

كوتشكاريوف: ذاهب! بالطبع. لابد أن تذهب (لستيبان) أعطه القبعة والمعطف.

بودكليســين: (عند البـاب) أي إنســان غريب، حقـاً! معاشرته مستحيلة تماماً. يشتم فجأة بلا سبب ولا موجب. لا يفهم أية معاملة.

كوتشكاريوف: بالطبع، لا أشتم الآن.

(ينصرفان).

المشهد الثاني عشر

(غرفة في بيت أغافيا تيخونوفنا).

(آغافيـا تيخونوفنا تستخير الورق، ومن فـوق يدها تنظر عمتها أرينا بانتيليمونوفنا)..

آغافيـا تيخونوفنا: مرة أخرى يكشف الورق عن طريق، يا عمة، وملك ديناري مهتم، دموع، ورسالة غرام. ومن الجانب الأيسر ملك آخر اسباتي يظهر حنّية كبيرة. ولكن إحدى الشريرات تعيقه.

أرينا بانتيليمونوفنا: ومَنْ سيكون الملك الاسباتي حسب ظنك؟

آغافيا تيخونوفنا: لا أعرف.

أرينا بانتيليمونوفنا: ولكن أنا أعرف مَنْ؟

آغافيا تيخونوفنا: مَنْ؟

أرينـا بانتيليمونوفنـا: التاجـر اللطيـف في سـوق الأقمشـة، الكسيدميتربيفيتش ستاريكوف.

آغافيا تيخونوفنا: قطعاً لا! أراهن بكل شيء على ذلك.

أرينـا بانتيليمونوفنا: لا تجادلي، يا آغافيـا تيخونوفنا. شعره أشقر كتاني، لا يوجد ملك اسباتي غيره.

أرينـا بانتيليمونوفنا: آه، يـا آغافيا تيخونوفنـا. ماكنت ستقولين ذلك، لو كان المرحوم أبوك تيخون بانتيليمونوفيتش على قيد الحياة. كان سيضـرب بـكل أضابعـه الخمس علـى الطاولة ويصـرخ قائلاً: «ابصـق علـى الذي يخجل من كونـه تاجراً، ولـن أزوج ابنتي على

عقيـد. وليفعل الآخرون ذلك. وابني أيضاً لـن أسمح له بأن يخدم. يعنـي ألا يقدم التاجر خدمة للدولـة كأي شخص آخر؟». ومرة ثانية كان سيضـرب بـكل أصابعه الخمسـ على الطاولـة، وينتهي الأمر. كانت يده بحجم الجـردل، عملاقة! إذا أردت الحق هو الذي أهلك أمك من الضرب المستمر. ولولاه لعاشت المرحومة والدتك أكثر.

آغافيـا تيخونوفنا: وتريدين أن يكون لي مثـل هذا الزوج الغليظ القبيح! لن أتزوج تاجراً أبداً.

أرينا بانتيليمونوفنا: ولكن ألكسي دميتريفيتش ليس كذلك.

آغافيـا تيخونوفنا: لا أريد، لا أريد! له لحية[1]، وحين يأكل يسيل كل شيء على لحيته، لا، لا، لا أريد!..

أرينـا بانتيليمونوفنا: ولكـن من أين نحصل علـى نبيل جيد. لن تجديه مبذولاً في الشارع.

آغافيا تيخونوفنـا: ستجده فيكلا ايفانوفنـا. وعدتني بأن تجد لي أحسن نبيل.

أرينا بانتيليمونوفنا: ولكنها كذابة، ياعمري.

---

(١) كان التجار في ذلك العهد يطلقون لحاهم. المترجم.

المشهد الثالث عشر

(الاثنتان وفيكلا).

فيكلا: لا، يـا أرينـا بانتيليمونوفنا. عيب عليـك أن تفتري عليَّ بدون داع.

آغافيـا تيخونوفنا: آه، هذه فيكلا ايفانوفنـا.! هيا، حدثيني! هل يوجد؟

فيـكلا: يوجد، يوجـد، دعيني ألتقـط أنفاسـي أولاً. تعبت من المشاوير! بنـاء على ما طلبت مني مررت علـى كل البيوت وبحثت في الدوائـر، وفتشت في الوزارات، ومشيـت إلى الحرس... وليتك تعرفين، يـا ابنتـي، كادوا يضربوننـي، وحق الـرب! والعجوز التي زوجت ابـن افيروف هاجمتني شاتمة: «أنت يـا كذا وكذا، تقطعين الرزق عني، تحولي في حدود منطقتك». فقلت لها على المشكوف: «أنا مستعدة لمولاتي، فلا تغضبـي، مستعدة دائماً لإرضاء رغبتها». على كل حال، وفرت لـك عرساناً وأي عرسان! أقصد الدنيا كانت قائمـة، وما تـزال قائمة، لكن لم تشهـد مثلهم قط، اليـوم سيزورك بعضهم. جئت خصيصاً لأنبهك.

آغافيـا تيخونوفنا: كيف اليوم؟ يا روحين يا فيـكلا ايفانوفنا. أنا خائفة.

فيـكلا: لا تخافي، يا ابنتي المسألة بسيطة. سيأتون ويعاينون، ولا أكثر. وأنت أيضاً ع ايني، وإذا لم يعجبوك، اتركيهم يذهبون.

أرينا بانتيليمونوفنا: أظن الذين أغريتهم أناس معتبرون.

آغافيا تيخونوفنا: وكم عددهم؟ كثيرون؟

فيكلا: ستة رجال.

آغافيا تيخونوفنا: (تندّ عنها صرخة) آوه!

فيكلا: و لِمَ هذه الرفرفة، يا بنتي؟ الاختيار أحسن. إذا لا يعجبك هذا، يعجبكَ ذاك.

آغافيا تيخونوفنا: وهل هم نبلاء؟

فيكلا: واحد أحسن من الآخر. نبلاء كبار بلا مثيل.

آغافيا تيخونوفنا: طيب، كيف هم، كيف هم؟

فيكلا: أماجد كلهم، لطيفون، مهندمون، الأول بالتازاروفيتش جيفاكين، ممتاز، خدم في البحرية. على مرامك تماماً. يقول إنه يحتاج إلى عروس ممتلئة الجسم، ولا يحب النحيفات أبداً. وإيفان بافلوفيتش، الذي يعمل مسؤول إدارة، في غاية الوقار يخاف الناس حتى الاقتراب منه. مهيب الشكل سمين، يصيح بي على حين غرة: «لا تثرثري علي بأنها كذا وكيت! وقولي صراحة كم لديها من المنقولات وغير المنقولات؟» فأقول: «كذا، وكذا، يا مولانا» فيقول: «تكذبين، يا بنت الكلب!» وشتمني بكلمة عيب عليَّ أن أقولها لك. وحدست رأساً أنه سيد وجيه من كل بد.

آغافيا تيخونوفنا: طيب، ومَنْ بعد؟

فيكلا: يوجد، بعد، نيكانور ايفانوفيتش انوتشكين. وهو مهذَّب جداً! وشفته حمرة مثل الرمان تماماً، يا بنتي! لطيف ظريف. يقول لي: «أريد عروساً حلوة متعلّمة، تعرف الكلام بالفرنسي». صحيح، رجل صافي الأخلاق، تحفة ألمانية! وهو نحيف، ورجله نحيلة، عصابية.

آغافيا تيخونوفنا: لا، هـؤلاء النحاف لا يحلوون في العين... لا أعرف... لا أرى فيهم شيئاً.

فيـكلا: إذا كنـت تريديـن اسمـن، خـذي إيفـان بافلوفيتشـس بايتشنيتسا[1].

آغافيا تيخونوفنا: أي اسم هذا؟

فيكلا: اسمه هكذا.

آغافيـا تيخونوفنا: آوه، يا ربـي، أي اسم عائلة هذا! كيف إذاً، يا فيـكلا، إذا تزوجته وأخذت اسم عائلته يسمونـني آغافيا تيخونوفنا بايتشنيتسا؟ أي شيء هذا!

فيكلا: ولكن في روسيا، يـا عزيزتي، ألقاب إذا سمعتها تبصقين فقـط وترسمين علامة الصليب. تفضلـي، إذا كان اللقب لا يعجبك خذي بالتازاروفيتش جيفاكين عريس ممتاز.

آغافيا تيخونوفنا: واي شعر له؟

فيكلا: شعر لطيف.

آغافيا تيخونوفنا: وأنفه؟

فيكلا: وأنفه لطيف أيضاً. كل شيء في مكانه. وهو نفسه لطيف. لكن لا تغضبي. في شقته لا يوجد غير غليون واحد، ولا أي أثاث.

آغافيا تيخونوفنا: ومَنْ بعد؟

فيكلا: إكينف ستيبانوفيتش بانتلييف، موظف من رتبة متوسطة، ولكنه يتمتم قليلاً، ومقابل ذلك متواضع بالشكل...

أرينـا بانتيليمونوفنا: ما هذا الإلحاح، موظف، موظف! خير لك أن تخبرينا: يحب أن يشرب أم لا؟

(١) بالعربية تعني البيض المقلي.

فيـكلا: يشرب، ولا أنكر. ولمـاذا لا يشرب فهو موظف من رتبة متوسطة ولكنه صموت لا ينطق بكلمة.

آغافيا تيخونوفنا: لا، لا أريد أن يكون لي زوج سكير.

فيـكلا: كما تريدين، يا بنتي! إذا لا تريد واحداً خذي آخر. على العمـوم لا يهم إذا شرب أكثر من اللازم أحياناً، ما هو طول الأسبوع سكران. في بعض الأيام يكون صاحياً.

آغافيا تيخونوفنا: طيب، ومَنْ بعد؟

فيكلا: يوجد آخر، ولكن ليس عليه حسرة! هؤلاء أنبل وأحسن.

آغافيا تيخونوفنا: طيب، مَنْ هو؟

فيـكلا: ما أردت أن أتكلم عنه، أظنه برتبة مقدَّم. ويحمل شارة، لكنه ثقيل جداً في الحركة، لا يخرج من البيت.

آغافيا تيخونوفنا: ومَنْ بعد؟ هؤلاء خمسة فقط. وأنت قلت ستة.

فيكلا: قليلون عليـك؟ عايني كيف انفتحت شهيتك على غفلة. بينما كنت في الأول خائفة.

أرينا بانتيليمونوفنا: وماذا في هؤلاء، أصحابك النبلاء؟ ولو كانوا ستة تجار واحد يعادل الجميع فعلاً.

فيكلا: لا، يا أرينا بانتيليمونوفنا. النبيل أكثر احتراماً.

أرينـا بانتيليمونوفنـا: ومـاذا يعنـي الاحـترام؟ هـذا ألكسـي دميتريـفيتشـ يلبس قبعة من فراء السمـور، وله زلاجة يروح ويجيء فيها...

فيكلا: والنبيل يمر به والنوجرم تلمع على كتفه، ويقول: «ما هذا يا تاجـر حقير؟ اطلع عن طريقـي!» أو «يا معلِّـم، أرني قوام أحسن مخمل عندك!» والتاجر يقول: «يا مولاي، تفضل!» ويقول له النبيل. «اخلع قبعتك يا قليل الأدب!»

أرينـا بانتيليمونوفنا: ولكن إذا أراد التاجر امتنع عن البيع له، عند ذاك سيسير النبيل عارياً، ولا يجد ما يلبسه!

فيكلا: النبيل سيطعن التاجر.

أرينا بانتيليمونوفنا: والتاجر سيشتكيه عند الشرطة.

فيكلا: والنبيل سيشتكي على التاجر عند الحاكم.

أرينا بانتيليمونوفنا: والتاجر عند الوالي حاكم الولاية.

فيكلا: والنبيل....

أرينا بانتيليمونوفنا: تكذبين، تكذبين... النبيل... حاكم الولاية أعلـى من الحاكم. انظري إلى أين صعـدت بنبيلك! بينما نبيلك هذا هو، عند الحاجة، يرفع قبعته أيضاً.

(رنين جرس في الباب).

يتهيأ لي أن الجرس يدق.

فيكلا: ياه، هؤلاء هم!

أرينا بانتيليمونوفنا: مَنْ هم؟

فيكلا: هم.... واحد من الخطّاب.

آغافيا تيخونوفنا: (تندُّ عنها صرخة) العياذ!

أرينـا بانتيليمونوفنـا: يـا قديسـون، ارحمونـا، نحـن المذنبين! الحجـرة غير مرتبة أبداً. (تلتقط كل مـا على المائدة وتركض متململةً في الحجـرة). والفوطـة، والفوطة على المائدة سـوداء من الوساخة. دونياشكا، دونياشكا!

(تظهر (دونياشكا))..

هاتي فوطة نظيفة بسرعة! (ترفع الفوطة وتتململ في الحجرة).

آغافيـا تيخونوفنا: آه، يا عمة، ماذا أفعـل؟ ليس عليَّ غير قميص النوم!

أرينـا بانتيليمونوفنا: آه، يا بنتي، أسرعي والبسي ثيابك! (تركض في الحجرة).

(دونياشكا. تجلب فوطة، رنين جرس في الباب).

اذهبي وقولي. «حالاً»!

(دونياشكا. تصيح من بعيد: «حالاً»!).

آغافيا تيخونوفنا: ولكن فستاني بلا كوي، ياعمتي.

أرينـا بانتيليمونوفنـا: آه، يارب يا ساتر، لا تتركنـا نضيع. البسي فستاناً آخر.

فيكلا: (تدخل راكضة). لماذا لا تأتين؟ آغافيا تيخونوفنا. أسرعي، يا بنتي!

(رنين جرس).

ياه، لسه ينتظر على الباب!

أرينا بانتيليمونوفنا: دونياشكا. أدخليه، وترجيه أن ينتظر قليلاً.

(تهـرع دونياشكا إلى الـرواق، وتفتح البـاب. تسمع أصوات: «الآنسـة موجـودة؟» تفضلـوا إلى الغرفـة، النساء الثـلاث يحاولن جميعاً النظر من ثقب المفتاح).

آغافيا تيخونوفنا: (تصيح) آه، سمين جداً!

فيكلا: إنه يقترب!

(جميعهن يهرولن).

المشهد الرابع عشر

(إيفان بافلوفيتش يايتشنيتسا والخادمة).

الخادمة: انتظروا هنا.(تخرج).

يايتشنيتســا: تفضلــي، ننتظــر، فقــط أن لا يطيلــوا. تغيبت عن الدائــرة لبعض الوقــت فقط. ربما سيقــول الجنرال[1] «أيــن مسؤول الإدارة؟» «ذهــب ليعايــن عروســة». وستقــوم القيامــة! علــى كل حال لأنظــر في قائمة الموجودات مرة أخــرى. (يقرأ) «بيت آجري علــى أساس حجــري... (يرفع ناظريه إلى الأعلــى ويفحص الغرفة) موجود! (يتابع القراءة)» جناحان: «جناح بأساس حجري، وجناح خشبــي...» الجناح الخشبي في حالة سيئــة. «عجلة صغيرة، زلاجة ذات مقعديــن فيهــا نحــوت ببساط كبــير، وبساط صغــير...» ربما تكون غــير صالحة إلا للخــردة؟ على كل حال، العجــوز تؤكد أنها مــن أول صنف. طيب، ولتكن من أول صنف. «دزّينتان من الملاعق الفضيــة...» بالطبع، البيت يحتاج إلى ملاعــق فضية. «معطفان من فــراء الثعلب....» احم.... «أربع حشايــا من الريش كبيرة، واثنتان صغيرتــان...» (يطبــق شفتيه بدلالــة). ستة من الفساتــين الحريرية، وستة من الفساتــين القطنية، وروبان للمنام، واثنان...». هذه الخانة لا تهمنــي! «بياضات، فوط...» ليكن ذاك كمــا تريد. على العموم يجب التأكد مــن ذلك كله بعيني. اليوم يعــدون البيوت والعربات، ولكن حالما تتزوج لا تجد غير حشايا ومخدات الريش.

---

(١) كان للسلك العسكري والمدني في الجهاز القيصري نفس الرتب. المترجم.

(رنين جرس. تركض دونياشكا خلال الحجرة على عجل، وتفتح الباب. يتردد صوتان: «الآنسة موجودة؟»، «نعم، موجودة»)

المشهد الخامس عشر

(إيفان بافلوفيتش وانوتشكين).

دونياشكا: انتظروا هنا. ا لآنسة ستحضر حالاً. (تنصرف).

أنوتشكين: هل الذي أتشرف في الحديث معه والد ربة البيت الفاتنة؟

يايتشنيتسا: لا، أبداً. ليس لي أولاد بعد.

أنوتشكين: آه، أرجو المعذرة! المعذرة!

يايتشنيتسا: (جانباً). خلقة هذا الرجل ترينيز ربما جاء لنفس الغرض الذي جئت من أجله. (بصوت مسموع).. لعلك تحتاج إلى ربة البيت في شأن من الشؤون؟

أنوتشكين: لا.... أبداً... لا يوجد أي شأن. مجرد أنني مررت بعد النزهة.

يايتشنيتسا: (جانباً). يكذب، يكذب. بعد النزهة! السافل يريد أن يتزوج!

(رنين جرس. تركض دونياشكا. عبر الحجرة لتفتح الباب. صوتان في الرواق: «الآنسة موجودة؟»، «نعم، موجودة»)

المشهد السادس عشر

(نفس الشخصين مع جيفاكين ترافقه الخادمة).

جيفاكين (للخادمة): أرجوك، يـا روحي، نظفيني قليلاً... أنت تعرفـين: الغبار في الشارع كثير. هنا، أرجـوك، انفضي تلك الريشة الصغـيرة. (يستديـر).. حسناً، شكـراً، يا روحـي! وانظري هناك، أحسـن وكأن عنكبوتـاً صغيراً يـدبّ! وفي الخلـف، ألا يوجد شيء علـى الطرفين؟، شكراً، يا عزيزتي! وهنا أيضاً، على ما يبدو. (يمسّد بيده على ردن فراكـه، ويختلس النظر إلى أنوتشكين و يايتشنيتسا). الجوخ إنكليزي! ممتاز متين!... في عام ١٧٩٥ عندما كانت عمارتنا الحربيـة راسيـة في صقلية، اشتريته وأنا مـا أزال ضابط صف آنذاك، وفصلـت منهبزة. في عام ١٨٠١، في عهـد القيصر بافل بيتروفيتش كنـت قد ترقيـت إلى ملازم، والجوخ ما يزال جديـداً للغاية. في عام ١٩١٤ قمـت بجولة حـول العالم، عند ذاك فقط ظهـر تآكل بسيط علـى الدروز. في عـام ١٩١٥ تقاعـدت فبعد هذا فقـط قلبته على وجهـه الاخر، وهاقد مضيت عشر سنين وأنـا ألبسه، فهو حتى الآن جديـد تقريباً. شكـراً، يا روحي، يا... سـت الحسن! (ويربت على خدها، ويتقدم من المرآة، وينفش شعره قليلاً)..

أنوتشكـين: وكيـف صقلية، لـو سمحت بأن نعـرف؟.. فأنت تكرمت وقلتك صقلية. أهي بلاد جميلة؟

جيفاكـين: آه، رائعة! بقينا هناك أربعـة وثلاثين يوماً. أؤكد لكم إنهـا فاخرة! جبال هنـا وشجرة رمان هنـاك.. والإيطاليات في كل مكان، الورد آخر حلاوة تود لو تقبلهن.

أنوتشكين: ومثقفات جيداً؟

جيفاكين: بشكل فاخر جداً! مثقفات في مستوى الكونتيسات عندنا ولا أقل. أحياناً أسير في الشارع، يعني ملازم روسي... بالطبع، كتافية هنا وكتافية هنا، (يشير إلى كتفيه).. مطرزة بالذهب... وتطل الحسناوات السمراوات.. عند كل بيت لهن شرفة صغيرة، والسطوح مثل أرض الغرفة هذه مسطحة كلياً. وألقي نظرة كالعادة، فأرى حسناء مثل الوردة قاعدة. وأنحني... طبيعي لا أمرغ وجهي بالوحل... هكذا (ينحني ويرسل قراعه في الهواء). وهي أيضاً نفس الحركة. (يحرك يده حركة انسيابية ليصور رد التحية).. ملابسها تحفة: قطعة قماش ناعم وخيوط وأقراط نسائية متنوعة... يعني باختصار، قطعة حلوى...

أنوتشكين: هل يمكن أن أطرح على حضرتك سؤالاً: بأية لغة يتفاهمون في صقلية؟

جيفاكين: الجميع بالفرنسية، بالطبع.

أنوتشكين: وجميع الأوانس يتكلمن دون استثناء الفرنسي؟

جيفاكين: الجميع دون استثناء. بل وربما لا تصدقونني حين أقول لكم: بقينا أربعة وثلاثين يوماً، وطوال هذه المدة لم نسمع منهم ولا كلمة واحدة بالروسي.

أنوتشكين: ولا كلمة؟

جيفاكين: ولا كلمة. وأنا لا أتحدث عن النبلاء والسينيوريين الآخرين، أقصد ضباطهم من مختلف المراتب، ولكن خذوا أي موجيك، أي فلاح بسيط على سبيل المثال، وهو يحمل على عاتقه مختلف الأشياء الحقيرة؛ وحاولوا أن تقولوا له بالروسية: «أعطني، يا أخ، قطعة من الخبز». لن يفهمك قطعاً، لن يفهمك والله العظيم،

ولكن قولوا له بالفرنسيــة: DATECI DEL PANE PORTATE VINO [1] يفهم، ويركض ويجلب لكم ما تريدون بالضبط.

يايتشنيتســا: من كلامك لابد أن تكون صقلية هذه بلاد ممتعة تثير الفضول. أنت تقول موجيك. فكيف هو.... مثل الموجيك الروسي عريض المنكبين للغاية ويحرث الأرض؟

جيفاكــين: لا أستطيــع أن أجيبــك. لم ألحظ مــا إذا كان يحرث الأرضــ أم لا. ولكن إذا سألتني عن استنشــاق السعوط، فأقول لك عــن علم: كلهم جميعــاً لا يستنشقون السعوط فقــط، بل ويضعونه خلــف شفاههم. النقل أيضاً رخيص جداً. المياه في كل مكان تقريباً، والجندولات...، طبيعي أن ترى إيطالية، مثل الوردة، لابسة صداراً حلــواً وشالاً لطيفــاً. وكان معنا ضبــاط إنكليز. خلق مثــل رجالنا، بحــارة، في البداية كانــت الحالة غريبة جداً. أحدنــا لا يفهم الآخر. ولكــن فيما بعد تعارفنا جيــداً. بدأنا نتفاهم بطلاقــة. حين تشير إلى زجاجــة أو قدح، يعرفون حالاً أن ذلك يعني تريد أن تشرب، وحين تضــم قبضتيك قرب فمك بهذا الشكل، وتحرك شفتيك فقط: باف، باف، يعني تريد تدخين الغليون. وعلى العموم اللغة الإنكليزية سهلة جداً. بحارتنا خلال ثلاثة أيام صاروا يتفاهمون تماماً.

يايتشنيتســا: يعني من كلامك، الحياة في البلــدان الأخرى رائعة جداً. أنا مســرور للغاية بمعاشرة رجل شاف الدنيا. هل لي أن أعرف مع من أتشرف بالكلام؟

جيفاكــين: جيفاكــين ملازم متقاعــد. ومن جانبــي اسمح لي أن أسأل مع من أسعد بمبادلة الكلام؟

---

(١) أعطني خبزاً... اجلب لي نبيذاً. (بالإيطالية).

يايتشنيتسا: مسؤول الإدارة إيفان بافلوفيتش يايتشنيتسا.

جيفاكين (لم يسمع جيداً): نعم، وأنا أيضاً أكلت[1]. أنا أعرف الطريق سيكون مرهقاً نوعاً ما. والجو يميل إلى البرودة. فأكلت سمك رنجة مع الخبز.

يايتشنيتسا: يبدو لي أنك أخطأت الفهم. اسم عائلتي يايتشنيتسا.

جيفاكين (ينحني): آه، اعذرني! أنا ثقيل السمع قليلاً. فتصورت بالفعل أنك أكلت بيضاً مقلياً، يايتشنيتسا.

يايتشنيتسا: ما العمل؟ أردت أنا أن أطلب من الجنرال أن يسمح بأن يدعوني «يايتشني تسين». ولكن زملائي منعوني من ذلك قائلين أنه سيشبه «سباتش سين»[2].

جيفاكين: على كل حال، هذا يحصل! عمارتنا الحربية الثالثة كلها، جميع الضباط والبحارة كانت لهم أسماء عوائل غاية في الغرابة! المزبل، سكيروف، الملازم متعفنوف. كان المرحوم ألكسي ايفانوفيتش قائد عمارتنا يقول عادة: «يبدو أن الشيطان قد عمد جميع أفراد عمارتي البحرية الثالثة!» بل إن أحد ضباط الصف، وكان ضابط صف جيداً، كان يدعى «الثقب». فكان القبطان، يناديه «أنت، يا ثقب، تعال إلى هنا!»، وكانوا يمزحون معه دائماً ويقولون: «آه، منك، يا ثقب!».

(رنين جرس في الرواق، تركض فيكلا عبر الحجرة لتفتح الباب)

يايتشنيتسا: مرحباً، يا محترمة!

جيفاكين: مرحباً، كيف الحال، يا روحي؟

---

(١) فهم من اسم العائلة معناه المباشر: «البيض المقلي». المترجم.
(٢) بالروسية، تعني ابن الكلبة. المترجم.

أنوتشكين: مرحباً، يا ست فيكلا ايفانوفنا.

فيكلا: (تركض مستعجلـة).. شكراً، يا حضرات! بخير، بخير. (تفتح الباب)..

(يصـدر في الرواق صوتان: «الآنسـة موجودة؟»، «موجودة». ثـم بعض الكلمات غير المسموعة تقريباً ترد عليها فيكلا في انزعاج: «آه، يالك!».

المشهد السابع عشر

(نفس الأشخاص وكوتشكاريوف و بودكليسين وفيكلا).

كوتشكاريـوف: (لبودكليســين). تذكر، ما عليـك إلا التظاهر بالشجاعــة، ولا أكـثر (يتلفــت، ويــوزع الانحنــاءات في شيء من الاستغراب، يقــول مع نفسه). أوه، كم من النــاس! ماذا يعني هذا؟ كلهم خطاب؟ (يلكز فيكلا، ويقول لها بخفوت).. من كل القيعان جمعت الغربان. ها؟

فيــكلا: (بصــوت خافت).. لا يوجــد غربان هنا، كلهــم أناس نزيهون.

كوتشكاريوف: (لها). الضيوف أرتال والقفاطين أسمال.

فيكلاز انظر إلى غطاك ولا تحاسب سواك. ليس لك ما تفخر به. هندام بلا ادام.

كوتشكاريـوف: أظن زبائنــك النبلاء الموسرون هــؤلاء بجيوب فارغــة. (بصوت مسموع). طيب، ماذا تفعل الآن؟ أظن هذا الباب يؤدي إلى مخدعها؟ (يقترب من الباب).

فيكلا: عديم الحياء! قيل لك ما تزال تلبس ثيابها.

كوتشكاريوف: وكأنهــا مصيبة! ماذا في ذلك؟ انظر، ولا أكثر. (ينظر في ثقب المفتاح)..

جيفاكين: اسمح لي أن أتطلع أيضاً.

يايتشنيتسا: اسمح لي أنا أن ألقي نظرة.

كوتشكاريوف: (يتابع النظر). ولكن لا شيء يرى، يا سادة، غير معروف ما هذا الأبيض هناك: امرأة أم مخدة؟

(ومع ذلك يتجمهر الجميع في الباب ويتزاحمون لينظروا).

شش... شخص قادم.

(الجميع يتراجعون).

المشهد الثامن عشر

(نفس الأشخاص مع أرينا بانتيليمونوفنا و آغافيا تيخونوفنا، الجميع يتبادلون الانحناءات).

أرينا بانتيليمونوفنا: أية مناسبة دعتكم إلى تكريمنا بالزيارة؟

يايتشنيتسا: عرفت من الجرائد أنكم ترغبون في الحصول على مقاولة تزويد أخشاب وحطب، وبما أنني أشغل وظيفة مسؤول إدارة في دائرة حكومية، فقد جئت لأستفسر عن نوع الخشب وكميته، والموعد الذي يمكن أن تنجزوا فيه هذه العملية.

أرينا بانتيليمونوفنا: نحن مسرورون بالمجيء، وإن كنا لا نتعهّد بأية مقاولات. ما اسم حضرتك؟

يايتشنيتسا: إيفان بافلوفيتش يايتشنيتسا مسؤول إدارة.

أرينا بانتيليمونوفنا: تفضلوا بالجلوس. (تتحول إلى جيفاكين. وتنظر إليه).. وهل يمكن أن أعرف...

جيفاكين: أنا أيضاً قرأت في الجرائد عن شيء ما. فقلت لنفسي، لأذهب وأرى. والجو جميل. وفي كل مكان في الطريق يطلع عشب غض...

أرينا بانتيليمونوفنا: وكيف أدعوك؟

جيفاكين: الملازم المتقاعد بالتازار بالتازاروفيتش جيفاكين. الثاني. كان عندنا جيفاكين الأول، وقد خرج إلى التقاعد قبلي، جرح، يا محترمة، تحت الركبة، والرصاصة، وهذا شيء غريب، مرت دون أن تصيب الركبة، ولكنها أصابت العرق، وكأنما خيطته بإبرة،

فكان الواحد، إذا وقف جنبه، يتصور دائماً أنه يريد أن يرفسه بركبته من الخلف.

أرينــا بانتيليمونوفنا: تفضلوا بالجلوس (تلتفت إلى أنوتشكين). وأنتم بأي مناسبة؟

أنوتشكين: بدافع الجوار. أنا قريب جداً منكم...

أرينــا بانتيليمونوفنــا: ألعلّكــم تسكنــون في بيت زوجــة التاجر تولوبوفا، المقابل لبيتنا؟

أنوتشكــين: لا، أنا ما أزال في مسكني القديم في بيسكي، ولكن لــديَّ نيــة أن أنتقل، بمرور الزمن، إلى جواركــم هنا في هذا الجزء من المدينة.

أرينــا بانتيليمونوفنــا: تفضلــوا، بالجلوس. (تتحــول إلى كوتشكاريوف). واسمح لي بأن أعرف....

كوتشكاريــوف: ولكن هل معقول أنــك لم تعرفيني؟ (ملتفتاً إلى آغافيا تيخونوفنا.) وأنت، أيضاً، يا آنسة؟

آغافيا تيخونوفنا: بقدر ما يتهيأ لي لم أرك من قبل قط.

كوتشكاريــوف: على كل حال تذكري. أعتقــد أنك رأيتني في مكان ما.

آغافيا تيخونوفنا: في الحقيقة، لا أدري، إلا إذا عند آل بيريوشكين؟

كوتشكاريوف: بالضبط، عند آل بيريوشكين.

آغافيا تيخونوفنا: آه، ربما لا تعرف أي حكاية حصلت لها.

كوتشكاريوف: بالطبع. تزوجت.

آغافيــا تيخونوفنــا: لا، سيكون ذلــك جيداً، لــو حصل. ولكن رجلها انكسرت.

أرينـا بانتيليمونوفنا: والكسر شديد. كانـت عائدة إلى البيت في عربة. في ساعة متأخرة إلى حد ما، وكان الحوذي سكران، فأسقطها من العربة.

كوتشكاريـوف: بالضبـط، هـذا ما أتذكـره: أمـا أن تكون قد تزوجت أو انكسرت رجلها.

أرينا بانتيليمونوفنا: ما اسم حضرتك؟

كوتشكاريـوف: كيف، اسمـي ايليا فوميتشـس كوتشكاريوف: نحـن أقارب. زوجتـي تتحدث دائماً عن... عـن إذنك، عن إذنك (يأخذ بيـد بودكليســين، ويقربه) هـذا صديقي بودكليســين إيفان كوزميتشـن الموظف مـن الدرجة الراقية، رئيـس شعبة، وحده يقوم بكل الأعمال، ويحسن القسم المناط به بشكل ممتاز جداً.

أرينا بانتيليمونوفنا: ولقبه؟

كوتشكاريوف: بودكليسين. إيفان بافلوفيتش المدير نصب لمجرد الرتبة، بينما هو يقوم بكل الأعمال، إيفان بافلوفيتش بودكليسين.

أرينا بانتيليمونوفنا: طيب، تفضلوا بالجلوس.

المشهد التاسع عشر

(نفس الأشخاص مع ستاريكوف).

ستاريكوف (ينحني بحيوية وعجل، على طريقة التجار، متخوصراً قليلاً): مرحباً، أيتها المحترمة أرينا بانتيليمونوفنا. الزملاء في سوق المدينة قالوا إنك تعرضين صوفاً للبيع، يا محترمة!.

آغافيا تيخونوفنا: (تستدير عنه باستهانة، وتقول بصوت خافت، ولكنه مسموع له).. ليس بيتنا دكان بيع وشراء!

ستاريكوف: عجيبة! لم نأت في الوقت المناسب؟ أم الطبخة تمت بدوننا؟

أرينا بانتيليمونوفنا: تفضل، تفضل، يا ألكسي دميتريفيتش. ولو أننا لانبيع صوفاً، ولكننا مسرورين بقدومك، تفضل اجلس.

(جلس الجميع. صمت).

يايتشنيتسا: الطقس غريب اليوم. في الصباح، كان ينذر بالمطر تماماً، والآن يبدو وكأن الغيوم قد تبددت.

آغافيا تيخونوفنا: نعم، هذا الطقس متقلب جداً. صاح أحياناً، وممطر كلياً في أحيان أخرى. شيء غير مريح مطلقاً.

جيفاكين: في صقلية، يا محترمة، كنا مع العمارة الحربية في فصل الربيع، وهو قياساً إلى ما عندنا مثل شهر شباط. أحياناً كنا نخرج لنتنزه، والنهار مشمس، وبعد ذلك ينزل مطر خفيف. وبالفعل تنظر، فإذا بالجو ماطر.

يايتشنيتسـا: أزعج الحالات، حين ينغلـق الإنسان في بيته وحيداً في مثل هذا الطقس. حالة المتزوج تختلف تماماً، لا يضجر، بينما في الوحدة، المسألة تماماً...

جيفاكين: أوه، موت، موت مؤكد!

أنوتشكين: نعم، يمكن أن يقال...

كوتشكاريوف: يا ويلاه! عذاب أليم! لن تسرك الحياة. الله يعوذنا من ذلك الوضع...

يايتشنيتسـا: طيب، مـاذا، يا آنستي، لـو كان عليك أن تختاري القريـب إلى قلبك؟ اسمحي لنـا أن نعرف ذوقـك، واعذريني على الصراحة. أي وظيفة تعتبرينها أليق بزوجك؟

جيفاكين: أتريدين، يا آنستي، أن يكون لك زوج شهد العواصف البحرية؟

كوتشكاريـوف: لا، لا، في رأيي أحسـن زوج هو الرجل الذي يدير لوحده تقريباً كل شؤون الدائرة.

أنوتشكـين: و لم هـذا التحامل؟ لمـاذا تريد أن تستهـين بالرجل الـذي، وإن كان قدخدم في سـلاح المشاة، إلا أنه، مع ذلك، يحسن التصرف في المجتمع الراقي.

يايتشنيتسا: يا آنستي، كوني حكماً!

(إيفان بافلوفيتش تصمت).

فيكلا: أجيبي، يا كريمتي. قولي لهم شيئاً.

يايتشنيتسا: كيف، يا محترمة؟...

كوتشكاريوف: ما رأيك، يا آغافيا تيخونوفنا.

فيـكلا (تقول لها بصـوت خافت): قولي، قـولي، أشكركم، أنا

سعيدة جداً، غير لطيف أن تسكتي هكذا.

آغافيـا تيخونوفنـا: (بخفـوت).. اخجـل، صحيـح، اخجل، سأنصرف، انصرف حقاً، ا جلسي، يا عمة، نيابة عني.

فيـكلا: ياه، لا تفضحينـا، هذه الفضيحة. لا تنصـرفي. يا له من عيب، الله يعلم ماذا سيفكرون.

آغافيا تيخونوفنا (بنفس الصوت الخافت): لا، سأنصرف، حقاً، انصرف، انصرف! (تركض هاربة).

(فيكلا و أرينا بانتيليمونوفنا تنصرفان في أثرها).

المشهد العشرون

(نفس الأشخاص ما عدا النساء).

يايتشنيتسا: عجيبة! انصرفن كلهن! ماذا يعني هذا؟

كوتشكاريوف: أظن شيئاً قد حصل.

جيفاكين: شيء يتعلق بزينة السيدات. يعني، يعدلن شيئاً... يدبسن... قبة صدار.

(تدخل فيكلا. يسألونها جميعاً «وماذا حصل؟»).

كوتشكاريوف: هل حدث شيء؟

فيكلا: وكيف يمكن أن يحدث. لم يحدث شيء، والله!

كوتشكاريوف: فلماذا خرجت إذاً؟

فيكلا: أربكتموها، ولهذا خرجت، ارتبكت تماماً، فلم تقدر أن تبقى في مكانها. ترجو الاعتذار. تفضلوا على قدح شاي في المساء. (تنصرف).

يايتشنيتسا: (جانباً) يا ويلي من قدح الشاي هذا! للسبب ذاته لا أحب الخطوبة. تطويل دائم. اليوم غير ممكن، تفضل غداً، ثم بعد غد على قدح شاي، ثم لازم أن أفكر. بينما القضية بسيطة، ولا تحتاج إلى وجع دماغ. اللعنة، وأنا صاحب وظيفة، وليس عندي وقت.

كوتشكاريوف: (لبودكليسين) العروسة حلوة، ها؟

بودكليسين: نعم، حلوة.

جيفاكين: العروسة جميلة.

كوتشكاريـوف: (جانباً) عليه اللعنة. وقـع الأحمق في غرامها. أظنه قـد يعرقلنا. (بصوت مسموع) غير جميلـة مطلقاً، غير جميلة أبداً.

يايتشنيتسا: أنفها كبير.

جيفاكين: لا، أبداً، الأنف لم يلفت نظري، إنها مثل... الوردة.

أنوتشكـين: رأيـي مـن رأيهمـا. ليسـت كما يجـب، لا... بل واستبعـد أنهـا تحسـن التصرف في المجتمـع الراقي. ثـم هل تعرف الكلام بالفرنسي؟..

جيفاكـين: طيب، لو سمحت أن أسأل لمـاذا لم تجرب و لم تتكلم معها بالفرنسي؟ ربما هي تعرف.

أنوتشكين: وتحسبني أعرف فرنسي؟ لا، لم يسعدني الحظ لأتلقى هـذا التعليـم. كان أبـي حقيراً، بهيمـة، فلم يخطر علـى باله قط أن يعلمني اللغة الفرنسيـة. كنت آنذاك ما أزال طفلاً، وكان من السهل تعليمـي. ماكان سيكلفه الأمر إلا أن يجلدني جلداً جيداً، وعند ذلك سأتعلم. سأتعلم حتماً.

جيفاكـين: طيب، وإذا كنت لا تعـرف الفرنسي، فماذا ستربح، إذا كانت...

أنوتشكـين: لا، لا. الأمرمع المرأة يختلف تماماً، يجب أن تعرف حتمـاً، بدون هذا، عندها كذا وكذا... (يشير بإيماءات) غير مناسب قطعاً.

يايتشيتسـا (جانباً): دع غيري بهذا. سأذهب أنا إلى الفناء لأتفقد البيت، والجناحين، وإذا كان كل شيء على ما يرام، سأتم المسألة اليوم مسـاءً. هؤلاء الخطاب غير خطرين علـيّ أناس خفاف. لا وزن لهم تقريباً، والعرائس لا يحببن مثل هؤلاء.

جيفاكين: أنا ذاهب لأدخ غليوني. ألا يوجد أحد في طريقي؟ أين تسكن، لو سمحت؟

أنوتشكين: في بيسكي، زقاق بيتروفسكي.

جيفاكين: آها فيها لفة لو مشينا سوية، أنا في جزيرة فاسيليفسكي، الشارع الثامن عشر، ومع ذلك سأرافقك.

ستاريكوف: لا، الجو كلّه عجرفة. فيما بعد ستتذكريننا نحن أيضاً، يا آغافيا تيخونوفنا: احتراماتين يا سادة (ينحني مودعاً وينصرف).

المشهد الحادي والعشرون

(بودكليسين و كوتشكاريوف)

بودكليسين: طيب، لننصرف نحن أيضاً، فماذا أنتظر؟

كوتشكاريوف: بالفعل العروسة جميلة، أليس كذلك؟

بودكليسين: يعني! بصراحة لم تعجبني

كوتشكاريـوف: عجيبة! ما هذا؟ أنـت نفسك وافقت على أنها جميلة

بودكليسين: ولكنهـا ليست كما يجب، أنفها طويل، ولا تتكلم بالفرنسي.

كوتشكاريـوف: أي شـيء هـذا بعـد؟ ومـا يهمـك أن تتكلم بالفرنسي؟

بودكليسين: على كل حال، العروسة لازم تعرف فرنسي.

كوتشكاريوف: ولماذا؟

بودكليسين: لأنه... لا أعرف لماذا، ولكن لن تكون كما يجب.

كوتشكاريـوف: هكذا، أحـد الحمقى قال ذلـك قبل لحظات، فالتقف كلامه، إنها ست الحسن، ست الحسن تماماً، لن تجد مثل هذه العروسة في الدنيا كلها.

بودكليسـين: أنا أيضـاً أعجبنـي شكلها في البدايـة، ولكن بعد أن أخـذوا يقولـون: أنفها طويل، أنفها طويـل، دققت النظر فرأيت بنفسي أنفها طويلاً.

كوتشكاريوف: آه، منك، نصاب، لم تعثر على الباب! هم يقولون ذلك عن عمد ليصرفوك، وأنا أيضاً لم أمتدحها. هذه هي الأصول. إنها، يا أخ، آنسة وأية آنسة! أمعن النظر في عينيها: الشيطان وحده يعرف أية عينين لها: تنطقان، تتنفسان! والأنف، أحار كيف أصفه، في نصاعة المرمر الأبيض! ولكن كيف يمكن تشبيه المرمر به. تمعن بنفسك جيداً.

بودكليسين: (مبتسماً) أي نعم، يبدو لي ثانية أنها جميلة.

كوتشكاريوف: طبيعي، جميلة! اسمع، ماداموا قد انصرفوا كلهم، تعال نذهب إليها، ونطرح عليها الموضوع، وننهي كل شيء.

بودكليسين: أوه، لن أفعل هذا.

كوتشكاريوف: والسبب؟

بودكليسين: ما هذه الوقاحة منا؟ نحن كثيرون، فليكن الاختيار لها.

كوتشكاريوف: ولأي شيء تكترث بهم. تخاف المزاحمة؟ هل تريد أن أصرفهم جميعاً في لحظة واحدة؟

بودكليسين: وكيف ستصرفهم؟

كوتشكاريوف: هذا شأن يخصنيز فقط أن تقطع لي عهداً بأنك لا تمتنع بعد ذلك.

بودكليسين: و لم لا أقطع؟ تفضل. لا أمتنع. أريد أن أتزوج.

كوتشكاريوف: هات يدك!

بودكليسين: (يمد يده) هاك!.

كوتشكاريوف: هذا الذي أريده بالضبط.

(ينصرفان).

الفصل الثاني

(حجرة في بيت آغافيا تيخونوفنا).

المشهد الأول

(آغافيا تيخونوفنا. لوحدها، ثم كوتشكاريوف).

آغافيـا تيخونوفنـا: صحيـح، أي صعوبة في الاختيـار! لو كان رجـل واحد، اثنـان، ولكنهم أربعـة، فتفضلي واختـاري. نيكانور أيفانوفيتشـ ليس قبيحاً، ولو أنه نحيـف، بالطبع، وإيفان كوزميتش ليسـ قبيحاً أيضـاً. وكذلك إيفـان بافلوفيتشـ، إذا أردت الحقيقة، ولوأنـه سمـين، ولكنـه بـارز الطلعة جـداً، فمـاذا أفعل، يـا ترى؟ وبالتازار بالتازاروفيتش هـو الآخر رجل له محاسن، الاختيار صعب بشكل لا يوصـف، صعب، فلو تجمع شفتانيكانـور ايفانوفيتش مع أنف إيفـان بافلوفيتش وشيء من طلاقة بالتـازار بالتازاروفيتش، ثم تضـاف إلى ذلـك ضخامة إيفـان بافلوفيتش، لاتخـذت قراري في الحـال! ولكن الآن عليّ أن أقعد وأفكـر! رأسي صار يوجعني حقاً، أحسـن طريقة، في رأيي أن أسحب قرعة. وأترك كل شيء لمشيئة الله وأتـوكل عليه! ومن يطلع اسمه بالقرعة أتزوجـه. سأكتب أسماءهم جميعـاً على قصاصات ورق، وألفّها، وليكن ما يكون. (تقترب من الطاولـة، وتأخذ من هنـاك مقصاً وورقة، وتقصّهـا إلى قصاصات، وتلفهـا، ماضية في الـكلام) ما أعس حظ الفتـاة، لاسيما إذا كانت

عاشقـة. لا أحد من الرجال يفهم ذلك، بل ولا يريد أن يفهمه. الآن هيأتهـم جميعـاً، و لم يبـق إلا أن ألقيهم في حقيبة يدويـة، وأغمض عينـي، وليكن ما يكون. (تضع قصاصـات الورق في حقيبة يدوية، وتخلطها بيدها).. أنا خائفة... آه، لو أن الله جعلني أسحب نيكانور ايفانوفيتشـ. لا، و لم هو بالذات؟ إيفان كوزميتش أحسن. و لم إيفان كوزميتشـ؟ وهل الآخرون سيئون؟ وبـأي شيء؟ لا، لا أريد... من يطلـع في يدي سيكون هـو الفائز. (تخلط قصاصـات الورق بيدها في الحقيبـة، وبدلاً من أن تخرج قصاصة واحدة تخرج القصاصات كلها) أوه! طلع الجميع! وقلبي شديد الخفقان! لا، واحد واحد!.. لا بد أن أسحب واحـداً!.. (تضع قصاصات الورق في الحقيبة اليدوية وتخلطها)..

(في ذلك الوقت يدخل كوتشكاريوف خلسةً، ويقف وراءها).

آه، لـو أسحب بالتازار... ماذا جـرى لي؟ أردت أن أقول نيانور ايفانوفيتش... لا، لا أريد، لا أريد.... ليقرر القدر من!..

كوتشكاريوف: اختاري إيفان كوزميتش. فهو أحسنهم.

آغافيـا تيخونوفنا: آه! (تندّ عنهم صرخة، وتغطي وجهها بيديها، خائفة من النظر إلى الخلف)..

كوتشكاريـوف: و لم ارتعبـت؟ لا تخـافي، هـذا أنـا، صحيح، اختاري إيفان بافلوفيتش.

آغافيا تيخونوفنا: آه، أنا خجلانة. كنت تتسمع وأنا لا أدري.

كوتشكاريـوف: لا شيء، لا شيء! فأنا من الأهل، من أقربائكم، ولا حاجة إلى الخجل مني. اكشفي عن وجهك.

آغافيا تيخونوفنا: (تكشف نصف وجهها) صحيح، أنا خجلانة.

كوتشكاريوف: طيب، اختاري إيفان بافلوفيتش.

آغافيا تيخونوفنا: آه! (تندّ عنها صرخة فتغطي وجهها بيديها من جديد)..

كوتشكاريوف: رجل رائع حقاً، كم أنيط به من أعمال... رجل عجيب حقاً.

آغافيا تيخونوفنا: (تكشف وجهها تدريجياً). كيف هذا، والآخر؟ نيكانور ايفانوفيتش؟ هو أيضاً رجل جيد.

كوتشكاريوف: أرجوك، هذا تافه بالقياس إلى إيفان بافلوفيتش

آغافيا تيخونوفنا: والسبب؟

كوتشكاريوف: السبب واضح، إيفان بافلوفيتش رجل بصراحة، رجل... لن تجدي له مثيلاً.

آغافيا تيخونوفنا: طيب، و إيفان بافلوفيتش؟...

كوتشكاريوف: إيفان بافلوفيتش تافه هو الآخر! كلهم تافهون. تافهون.

آغافيا تيخونوفنا: معقول كلهم؟

كوتشكاريوف: نعم، وما عليك إلا أن تحكمي، أن تقارني. هذا هو إيفان بافلوفيتش، على كل حال، وليس تافهاً من يدعى إيفان بافلوفيتش، أو نيكانور إيفانوفيتش، ومن على هذه الشاكلة!

آغافيا تيخونوفنا: صحيح أنهم... متواضعون جداً.

كوتشكاريوف: أي متواضعين هم! إنهم معربدون متهورون للغاية. وكأنك تريدين أن تضربي في اليوم الثاني بعد الزفاف.

آغافيا تيخونوفنا: آه، يا ربي! هذه مأساة! هذا أتعس ما يمكن أن يكون.

كوتشكاريوف: بالطبع! لا يمكن أن تتصوري شيئاً أتعس من ذلك.

آغافيا تيخونوفنا: إذاً، تنصحني باختيار إيفان بافلوفيتش؟

كوتشكاريوف: إيفان بافلوفيتش طبيعي إيفان بافلوفيتش (جانباً) أظـن المسألة مشت. بودكليسين جالـس في محل حلويات، سأذهب وأجيء به.

آغافيا تيخونوفنا: إذاً، تعتقد أن اختار إيفان بافلوفيتش؟

كوتشكاريوف: من كل بد، إيفان بافلوفيتش

آغافيا تيخونوفنا: وارفض الآخرين؟

كوتشكاريوف: ارفضيهم، بالطبع.

آغافيا تيخونوفنا: ولكن كيف أفعل ذلك؟ اخجل.

كوتشكاريـوف: ولماذا تخجلين؟ قولي لهـم: ما زلت شابة، ولا أريد الزواج.

آغافيا تيخونوفنا: ولكنهم لا يصدقون. سيسألون: كيف ولماذا؟

كوتشكاريـوف: طيـب، إذا كنت تريدين أن تنهـي المسألة دفعة واحدة قولي: «اغربوا عني، يا حمقى!».

آغافيا تيخونوفنا: وكيف يمكن أن أقول ذلك؟..

كوتشكاريوف: طيـب، حاولي. أؤكد لك أنهم سيولون هاربين جميعاً.

آغافيا تيخونوفنا: ولكن هذه كالشتيمة في حقهم.

كوتشكاريوف: أنت لن تريهم بعد ذلك. فما الفرق عندك؟

آغافيا تيخونوفنا: على كل غير لطيف... سيغضبون.

كوتشكاريـوف: وماذا يهـم، إن غضبوا؟ لـو كان سينجم شيء عن ذلك، لـكان الأمر يختلف، ولكن أسـوأ الاحتمالات أن يبصق أحدهم في عينيك، لا أكثر.

آغافيا تيخونوفنا: ها أنت ترى!

كوتشكاريـوف: أيـة مشكلـة في هذا؟ هنـاك أشخاصـ تلقوا البصقـات عدة مرات، وحق الرب! بـل أعرف أحدهم. وهو رجل رائـع الجمال، متـورد الخدين تماماً، كان يزعج ويتزلـف إلى رئيسه ليظفـر بزيادة في مرتبـه، حتى ضجـر الرئيس، ونفد صـبره أخيراً، فبصق في وجهه فعلاً، والله، قائلاً: «هذه هي الزيادة لك، فحلّ عني، يـا شيطان!»، ولكنه خصص له الزيادة علـى كل حال. يعني ماذا لو بصقـوا؟ سيختلف الأمر لو كان المنديل بعيداً، ولكن المنديل موجود في الجيبن فأخرجه، وامسح البصقة.

(رنين جرس في الرواق).

الجرس يرن. أظن أحدهم قادماً. لا أحب أن ألتقي بهم الآن، هل في بيتكم مخرج آخر؟

آغافيا تيخونوفنا: يوجد سلم خلفي. ولكن جسمي كله يرتعش، حقاً.

كوتشكاريـوف: لا بأس. المهم أن تسيطري علـى نفسك. إلى اللقاء! (جانباً) سأسرع في الإتيان ببودكليسين.

المشهد الثاني

(آغافيا تيخونوفنا و يايتشنيتسا)..

يايتشنيتسا: جئت، يا سيدتي، مبكراً قليلاً عن قصد، لأتحدث إليك على انفراد، في وقت الفراغ، طيب، يا سيدتي، أفترض أنك تعرفين رتبتي: أنا موظف من الدرجة الراقية، محبوب من الرؤساء، مطاع من المرؤوسين.. ينقصني فقط رفيقا حياة لي.

آغافيا تيخونوفنا: نعم.

يايتشنيتسا: والآن أجد هذه الرفيقة. رفيقة حياتي أنتِ. قولي لي بصراحة: نعم أم لا؟ (ينظر من خلال كتفها. ويقول جانباً) آها، ليست هي كالألمانيات النحيلات. يوجد عليها شيء!.

آغافيا تيخونوفنا: أنا ما أزال في أول الشباب، ولا يجدر أن أتزوج في الوقت الحاضر.

يايتشنيتسا: يا سلام! ولماذا تتعب الخطابة نفسها؟ ولكن ربما تريدين أن تقولي شيئاً آخر؟ وضحي...

(رنين جرس).

اللعنة، لن يتركوني أشوف شغلي.

المشهد الثالث

(نفس الشخصين وجيفاكين).

جيفاكين: اعذريني، يا سيدتي، ربما جئت مبكراً جداً. (يلتفت ويرى يايتشنيتسا).. آه، يوجد زائر... احتراماتي لإيفان بافلوفيتش!

يايتشنيتسا: (جانباً) أوه، ليأخذك الشيطان أنت واحتراماتك! (بصوت مسموع) إذاً، يا سيدتي؟ قولي كلمة واحدة: نعم أم لا؟

(رنين جرس. يايتشنيتسا. يبصق في غيظ).

الجرس مرة أخرى.

المشهد الرابع

(نفس الأشخاص مع أنوتشكين)..

أنوتشكـين: بمـا، يا سيدتـي، أبكر ممـا تقتضي وتسمـح أصول اللياقـة... (وحـين يـرى الآخرين تندّ منـه آهة استغـراب، وينحني لهما)، احتراماتي!

يايتشنيتســا: (جانبـاً) ابـق احتراماتك لك! لعنـة الله على الذي جـاء بك. أتمنى أن تنكسر رجلاك الممصوصتان! (بصوت مسموع) قرري، إذاً، يـا سيدتي، أنا رجل مرتبط بوظيفة، ووقتي قليل. نعم أم لا؟

آغافيـا تيخونوفنـا: (في الارتبـاك) غير لازم.... غـير لازم.... (جانباً) لا أفهم شيئاً مما أقول.

يايتشنيتسا: كيف غير لازم؟ بأي خصوص غير لازم؟

آغافيـا تيخونوفنـا: لا شـيء، لا شـيء... لم أرد.. (تستجمـع شجاعتها) اغرب عني!... (جانباً) آه، يا إلهي، ما هذا الذي قلته؟

يايتشنيتســا: كيـف «اغرب عنـي»؟ ماذا يعني «اغـرب عني»؟ اسمحي لي أن أعرف ماذا تقصدين بهذا؟ (يتخوصر، ويتقدم نحوها مهدداً).

آغافيا تيخونوفنا: (بعد أن تحدق في وجهه تصيح). أوه، يضربني يضربني! (تخرج راكضة).

(يايتشنيتسا يقـف فاغر الفم. تركض أرينـا بانتيليمونوفنا داخلة

علـى الصيحـة، وتحدق في وجهـه، وتصيح أيضـاً «أوه، يضربني!» وتخرج راكضة)

يايتشنيتسا: أي لغز هذا. والله حكاية!

(رنين جرس في الباب، وأصوات تسمع).

صوت كوتشكاريوف: ادخل، ادخل، لماذا توقفت؟

صوت بودكليسين: ادخل أنت في المقدمة. سأتأخر دقيقة، أصلح هندامي، انحلت حمالة الجورب.

صوت كوتشكاريوف: وتهرب من جديد.

صوت بودكليسين: لا، لن أهرب! وحق الرب لن أهرب!

المشهد الخامس

(نفس الأشخاص مع كوتشكاريوف).

كوتشكاريوف: وكأنه ضروري جداً أن يشدّ الحمالة.

يايتشنيتسا: (مخاطباً إياه) قل لي من فضلك: هل العروس بلهاء أم ماذا؟

كوتشكاريوف: وكيف؟ هل حصل شيء حقاً؟

يايتشنيتسا: تصرفات غير مفهومة. ركضت، وهي تصرخ «يضربني، يضربني!» الشيطان يعرف ما هذا!

كوتشكاريوف: أي نعم، هذا ما يلاحظ عليها. إنها بلهاء.

يايتشنيتسا: قل لي هل أنت قريبها؟

كوتشكاريوف: قريبها، بالطبع.

يايتشنيتسا: وأية قرابة، لو سمحت أن أعرف؟

كوتشكاريوف: في الحقيقة لا أعرف. إحدى عمات أمي هي إحدى أقارب أبيها، أو أبوها أحد أقارب عمتي. زوجتي تعرف ذلك. هذا شغلهن.

يايتشنيتسا: والبله عندها منذ زمان؟

كوتشكاريوف: منذ الصغر.

يايتشنيتسا: نعم، كان الأفضل بالطبع، لو كانت أكثر ذكاء. ومع ذلك فالبلهاء أيضاً مقبولة. شرط أن يكون صداقها في حالة جيدة.

كوتشكاريوف: ولكنها لا تملك شيئاً.

يايتشنيتسا: وكيف ذاك، والبيت الآجري؟

كوتشكاريـوف: بيت آجري بالاسم فقـط. ولكن ليتك تعرف كيـف بُنـي، الجـدران أقيمت بقشرة مـن الآجر فقـط، وفي الوسط حشيت بمختلف النفايات ونشارة الخشب.

يايتشنيتسا: معقول؟

كوتشكاريـوف: طبيعي. وكأنك لا تعـرف كيف يبنون البيوت في هذه الأيام؟ لا لشيء إلا ليرهنوها في المصرف العقاري.

يايتشنيتسا: على كل، البيت غير مرهون.

كوتشكاريـوف: ومن قال لك؟ هذا هـو صلب الموضوع. ليس فقـط مرهوناً، بـل ولم توضع عليـه الفوائد المصرفيـة المفروضة لمدة سنين. كما أن لها أخاً في المحكمة العليا يضع عينه على البيت أيضاً، لا مثيل لـه في الولع بإقامة الدعاوى في المحاكم. انتزع، الكافر، من أمه آخر تنورة لها.

يايتشنيتسـا: وكيـف قالـت لي العجـوز الخطابـة.... آه، إنهـا مكارة، حثالـة جنس البشـ...(جانباً) ومع ذلك يمكن أن يكذب... سأستجـوب العجـوز استجواباً عسـيراً، ولو طلع ذلـك حقيقة... طيب... سأريها النجوم في الضحى.

أنوتشكين: اسمح لي أيضـاً أن أضايقك بسؤال، بصراحة لكوني لا أعـرف الفرنسية يصعب عليّ جـداً أن أعرف بنفسي ما إذا كانت المرأة تعرف الفرنسية أم لا، فكيف ربة البيت، هل تعرف؟...

كوتشكاريوف: لا ، ولا حرف.

أنوتشكين: صحيح؟.

كوتشكاريوف: وكيف لا؟ أنا أعرف ذلك جيداً. كانت تتعلم مع

زوجتـي في مدرسة داخلية واحدة، وكانت معروفة بالكسل. كانت دائماً تعاقب. بل كان معلم الفرنسية يضطر إلى ضربها با لعصا.

أنوتشكين: تصور أنني أول ما رأيتها كنت أتحسس أنها لا تعرف الفرنسية.

يايتشنيتسا: طيـب، لتذهب الفرنسيـة إلى الجحيم! ولكن كيف الخطابـة الملعونـة... آه، أيتها المكارة، يا مشعـوذة! ليتك تعرف بأية كلمـات رسمتها لي. كما يرسم رسام بالضبط! «بيت، جناحان على أسس، ملاعق فضيـة، زلاجة» والآن اجلس فيها وتتنزه! وباختصار نادر ما تجد مثل هذه البلاغة في رواية. آه، منك، أيتها السافلة الهرمة! فقط لو أظفر بك...

المشهد السادس

(نفس الأشخاص مع فيكلا).

(حين يرونها يخاطبونها جميعاً بهذه الكلمات).

يايتشنيتسا: آي! هذه هي! تعالي إلى هنا، أيتها الزنديقة العجوز! تعالي إلى هنا!

أنوتشكين: كيف خدعتني، يا فيكلا إيفانوفنا؟

كوتشكاريوف: أي نعم، شددوا الخناق عليها!

فيكلا: لا أفهم أي كلمة، طرشت تماماً!

يايتشنيتسا: البيت مبني بقشرة من الآجر، أيتها السافلة الهرمة. بينما كذبت وقلت بشرفات وبهذا وذاك.

فيكلا: لا أدري بذلك، لم أبنه أنا، ربما كان من الضروري أن يبنوه بقشرة آجر فقط، فبنوه بهذا الشكل.

يايتشنيتسا: ومرهون أيضاً! عسى أن يبتلعك الشيطان، يا مشعوذة، يا ملعونة! (يضرب الأرض بقدمه).

فيكلا: قف عند حدك! غيرك كان سيشكرني بارتياح على همتي نحوه.

أنوتشكين: نعم، يا فيكلا ايفانوفنا. ولي أيضاً قلت إنها تعرف اللغة الفرنسية.

فيكلا: تعرف، يا عزيزي، كل شيء تعرف، بالألماني وبكل شيء، تعرف تتصرف بأية طريقة تريدها.

أنوتشكين: لا، أظنها لا تتكلم إلا بالروسي.

فيكلا: وما العيب في ذلك؟ الإنسان بالروسي يفهم أحسن، ولهذا تتكلم بالروسي. وإذا كانت تعـرف بالأعجمي، سيكون أسوأ لك. لن تفهم منها شيئاً. ليس هناك داع لأن تثرثر عن الإنسان الروسي! معروف أي لسان هو. كل القديسين كانوا يتكلمون بالروسي.

يايتشنيتسا: تعالي هنا، يا ملعونة! اقتربي مني!

فيكلا (تتراجع باتجاه البـاب): لا تقترب، أنا أعرفك، أنت رجل قبيح، تضرب بدون أي سبب.

يايتشنيتسـا: طيـب، انتظري، يا حلـوة، لن تسلمـي من ذلك! عندما أحيلك إلى الشرطة ستعرفين أي جزاء ستلقين من خداع الناس الشرفـاء. سترين! وقولي للعروس إنها سافلة! قـولي لها من كل بد. (ينصرف).

فيـكلا: قف عند حدك! يا للشجاعـة! لأنه سمين يتصور لا أحد يوازيه. طيب، أقول لك أنت نفسك سافل، هكذا!

أنوتشكين: بصراحة، يـا محترمة، ما كنت أتصور أنك ستخدعين بهـذا الشكل. لو كنت أعرف أن العروس بهذا المستوى من التعليم ما كنت... نعم، ما كانت قدمي تطأ هذا البيت. هكذا! (ينصرف).

فيـكلا: هل جنوا أو شربوا أكثر من اللازم! يا لهم من متحذلقين! القراءة والكتابة لخبطت عقولهم.

المشهد السابع

(فيكلا و كوتشكاريوف و جيفاكين)

(كوتشكاريـوف يضحك بمـلء حنجرته، وهو ينظـر إلى فيكلا ويشير إليها بإصبعه).

فيكلا (في غيظ): ما لك تمزق حنجرتك؟

(كوتشكاريوف ماضٍ في قهقهته. أصابته نوبة!)

كوتشكاريـوف: أمـا والله خطابة! خطابة! أستـاذة في الزواج! تعرف كيف تدير الأمور! (ويمضي في قهقهته).

فيكلا: ساح في الضحك، يبدو أن المرحومة أمك فقدت عقلها، ساعة ولدتك! (تخرج مغتاظة).

المشهد الثامن

(كوتشكاريوف و جيفاكين)..

كوتشكاريوف (وهو ما يزال يقهقه): أوه، سأموت من الضحك، أموت، حقاً! طاقتي لا تتحمـل، أشعر بالضحك يمزقني! (يمضي في ضحكه).

(جيفاكين يبدأ بالضحك أيضاً، وهو ينظر إليه).

(يسقـط علـى المقعد من الإعيـاء) أوه، صحيح، قـواي خارت. أشعر بأن آخر عروقي ستتمزق لو واصلت الضحك.

جيفاكـين: يعجبني مرح طبعك. كان عندنـا في عمارة القبطان بولديريف ضابـط صف يدعى بيتوخوف أنتو إيفانوفيتش. هو أيضاً كان مـرح الطبع. كان ما إن تريـه إصبعاً واحدة هكذا دون أي شيء آخر، حتـى ينفجر ضاحكاً، وحق الرب، يضحك حتى المساء. وإذا نظـرت إليه تشعر أنـت نفسك برغبة في الضحـك، وإذا بك الآخر تضحك بعد برهة، نعم، في الحقيقة.

كوتشكاريـوف: (يلتقط أنفاسه). أوه، يـا إلهي، ارحمنا، نحن الخاطئـين! طيب، ماذا تصورت، الحمقاء؟ هيهـات أن تزوج أحداً، وهـل هي بقادرة علـى ذلك؟ أنـا إذا أخذت على عاتقـي، سأزوج حسب الأصول.

جيفاكين: الله؟ يعني تقدر أن تزوج بجد؟

كوتشكاريوف: مؤكد! أي رجل على أي امرأة.

جيفاكين: طيب، إذا كان كذلك زوجني ربة البيت هذه.

كوتشكاريوف: أزوجك أنت؟ ولكن لماذا تريد أن تتزوج؟

جيفاكين: كيف لماذا؟ دعني أقـول لك: سؤال فيه بعض الغرابة! معروف لماذا.

كوتشكاريوف: ولكنك سمعت أنها بلا جهاز بالمرة.

جيفاكـين: وليكـن ما دام هو والعـدم سواء. بالطبـع، هذا شيء مؤسـف. ولكن يمكن بلا جهـاز أيضاًن لما للآنسة مـن لطف شديد وحسـن سلوك. الحجرة صغيرة (يقيسهـا بذراعيه). يعني هنا رواق صغير، وحاجز نوم صغير، أو شيء فاصل...

كوتشكاريوف: وما الذي أعجبك فيها بهذا الشكل؟

جيفاكين: إذا أردت الحقيقة، أعجبتني لأنها امرأة ممتلئة. وأنا غاو كبير من ناحية امتلاء المرأة.

كوتشكاريوف: (ينظر إليه من طـرف عينه، ويقول جانباً)..هو نفسـه لا يملأ العين أبداً، مثل كيس تبغ أفرغت منه محتوياته. (بصوت مسموع)، لا، لا يجوز لك أن تتزوج إطلاقاً.

جيفاكين: ولماذا؟

كوتشكاريـوف: هكذا. وأي قـوام لـك، إذا كان الكلام بيننا؟ الساق كساق الديك...

جيفاكين: ساق الديك؟

كوتشكاريوف: بالطبع. وأي شكل لك!

جيفاكين: كيف ساق الديك على كل حال؟

كوتشكاريوف: بالضبط، ساق الديك.

جيفاكين: يبدو لي، على أية حال، أنك تهين كرامتي..

كوتشكاريـوف: وأنا أقول ذلك لأنني أعرف أنك رجل متفهم.

لغيرك ما كنت سأقوله أبداً. تفضل، سأزوجك، ولكن امرأة أخرى.

جيفاكين: لا، لم أطلب أن أزوج امرأة أخرى، اعمل معروفاً! زوجني هذه.

كوتشكاريوف: تفضل، أزوجك! فقط على شرط أن لا تتدخل في أي شيء، وأن لا تقع عين العروسة عليك. وسأفعل كل شيء بدونك.

جيفاكين: كيف تقوم بكل شيء بدوني؟ على كل حال لازم أريها نفسي.

كوتشكاريوف: غير لازم أبداً، اذهب إلى بيتك وانتظر هناك. وفي هذا المساء سيتم كل شيء؟

جيفاكين: (يفرك يديه) هذا شيء لا أروع منه! يعني لا تلزم الشهادة بالمؤهلات ولا سجل الخدمة؟ ربما العروسة تحب الاطلاع؟ سأهرب لجلبها حالاً.

كوتشكاريوف: لا لزوم لأي شيء. المهم أن تتوجه إلى البيت. واليوم أخبرك بالنتيجة. (يرافقه في الخروج) العين بصيرة واليد قصيرة، لن يكون ذلك! ما هذا؟ لماذا لا يأتي بودكليسين. شيء غريب، على كل حال. معقول لحد الآن مشغول بشدّ الحمالة؟ يعني لازم أركض وراءه؟...

المشهد التاسع

(كوتشكاريوف و آغافيا تيخونوفنا).

آغافيـا تيخونوفنا: (تجيل النظـر فيما حولها) يعنـي انصرفوا؟ لا يوجد أحد؟

كوتشكاريوف: انصرفوا، انصرفوا، لايوجد أحد.

آغافيا تيخونوفنا: آه، ليتك تعرف كم كنت أرتجف بكل جسمي. لم يحـدث هذا معي قط. ولكـن أي إنسان مخيف يايتشنيتسا هذا! لا بـد أنه سيكون طاغية علـى زوجته. حتى الآن يبدو لي أنه سيعود من لحظة إلى أخرى.

كوتشكاريـوف: أوه، لـن يعود أبداً. أراهن علـى رأسي، إذا مد واحد منهما أنفه هنا.

آغافيا تيخونوفنا: والثالث؟

كوتشكاريوف: أي ثالث؟

جيفاكـين: (يمد رأسه من الباب) كـم أود أن أعرف ماذا ستقول عني بفهما الجميل يا وردة الحب!

آغافيا تيخونوفنا: وبالتازار بالتازاروفيتش؟

جيفاكين: حلت اللحظة! حلت اللحظة! (يفرك يديه).

كوتشكاريـوف: أوه، أزعجتنـي! تصورت أنـك تتكلمين عن إنسان محترم. الشيطانِ نفسه يعرف أي شخص هو. أحمق راسخ.

جيفاكين: ما هذا؟ بصراحة، لا أفهم أي شيء هذا.

آغافيا تيخونوفنا: ولكنه من حيث الشكل يبدو إنساناً جيداً جداً.

كوتشكاريوف: سكير!.

جيفاكين: لم افهم، وحق الإله!

آغافيا تيخونوفنا: وعلاوة على ذلك سكير؟ معقول؟

كوتشكاريوف: صدقيني، حقير متأصل في حقارته.

جيفاكين: (بصوت عـال)، لا، يا حضرة المحترم. لم أرد منك أن تقـول هذا أبداً. مسألة أخرى أن تقـول شيئاً لصالحي. أن تمتدحني. أما هذه الطريقة، هذه الكلمات فأطلقها على شخص آخر غيري، أما بخصوصي فلا مؤاخذة، لا داعي!

كوتشكاريـوف: (جانبـاً) ما الـذي وسوس له ليعـود؟ (لاغافيا تيخونوفنا بصوت خافت) عاينـي عايني، لا يكاد يقف على قدميه. كل يـوم يترنح بهـذا الشـكل. اطرديه، وينتهـي الأمـر! (جانباً) و بودكليسين لم يأتِ لحد الآن، آه، الحقير! سأنتقم منه! (يخرج).

المشهد العاشر

(آغافيا تيخونوفنا و جيفاكين).

جيفاكين (جانباً): أردته عوناً طلع لي فرعونا! رجل في منتهى الغرابة! (بصوت مسموع) يا سيدتين لا تصدقي...

آغافيا تيخونوفنا: اعذرني. أنا متوعكة... عندي صداع (تهم بالخروج).

جيفاكين: ربما يوجد شيء لا يعجبك في؟ (يشير إلى رأسه) لا تنظري إلى بقعة الصلع الصغيرة في رأسي. إنها لا شيء، آثار حمى ولت، وسينمو الشعر حالاً.

آغافيا تيخونوفنا: لا يهمني أي شيء عندك.

جيفاكين: أنا، يا سيدتي، إذا ارتديت بدلة فراك سوداء لاح لون وجهي أكثر بياضاً.

آغافيا تيخونوفنا: هذا أحسن لك. مع السلامة. (تخرج).

المشهد الحادي عشر

(جيفاكين. وحده، يقول في أثرها).

سيدتـي، من فضلك، قـولي السبب، لمـاذا؟ لأي شيء؟ هل عليَّ مأخـذ كبير؟ انصرفت!... غريبة جداً! هذا يحدث لي للمرة السابعة عشـرة، في كل مرة بنفسـس الطريقة تقريبـاً. في البداية يبدو كل شيء على ما يرام، وما إن تصل المسألة إلى نقطة الحسم، حتى أجد بنفسي مرفوضاً. (يروح ويجيء في الحجرة في تأمل)، نعم، هذه هي الخطيبة السابعة عشرة، بالتأكيد! على كل حال، ماذا تريد؟..

مـاذا كانت يعني، مثلاً... السبب والمسبّب. (بعد تفكير قصير). مسألـة تحير، تحـير إلى أبعد حـد! لا بأس لو كان لي عيـب أو نقيصة (يجيل البصر فيما حوله) لا أظن أن هذا موجود، كل شيء بحمد الله، الطبيعة لم تبخل عليَّ بشيء. غريبة! ربما أذهب إلى البيت، وأفتش في صندوقـي؟ كانت فيه أشعار، تعويذة، لا تصمد أيـة امرأة أمامها... والله، هـذا لا يتقبّلـه العقل! في البداية وفقت، فيمـا بدا... والظاهر أنني سأعود بخفّي حنين. خسارة، بالفعل خسارة! (ينصرف).

المشهد الثاني عشر

(بودكليسين و كوتشكاريوف يدخلان، والاثنان يلتفتان إلى الخلف).

كوتشكاريوف: لم يلحظنا! هل رأيت كيف طلع خائباً؟

بودكليسين: معقول أنه رفض أيضاً مثل هؤلاء؟

كوتشكاريوف: رفض رفضاً باتاً.

بودكليسين: (بابتسامة الرضى عن النفس) على كل حال، لا بد أن يكون مربكاً جداً أن يرفض من الخاطب.

كوتشكاريوف: بالطبع!

بودكليسين: لحد الآن لا أصدق أنها أعلنت صراحة بأنها تفضّلني على الجميع.

كوتشكاريوف: لا تفضلك فقط! بل هي مدلهة بك كلياً. حب مشبوب. أنت لا تدري بأي أسماء تحبب سمّتك! غرام عاصف فوار، بالفعل!

بودكليسين: (فاغراً فمه بارتياح) صحيح، إذا أحبت المرأة لن تبخل بالكلمات. تبتكر ما لا تبتكره أنت طول عمرك من أسماء الولع: يا حلاوة بوزك، يا صريصور، يا سمرمر...

كوتشكاريوف: قليلة هذه الكلمات! ستتزوج وسترى بنفسك في الشهرين الأولين أي أسماء ستطلق عليك. تجعلك تذوب، يا أخ، بالتأكيد.

بودكليسين: (يبتسم بشيء من التشكك) معقول؟

كوتشكاريـوف: كلمة شرف مـن إنسان شريف! على كل حال، اسمع الآن، لندخل الموضـوع بسرعة. ابح لها بحبك، واكشف لها مشاعرك على الفور، واطلب يدها.

بودكليسين: ولكن كيف على الفور؟ ما هذا منك!..

كوتشكاريوف: على الفور، حتماً... هاهي نفسها قادمة.

المشهد الثالث عشر

(نفس الشخص مع آغافيا تيخونوفنا)..

كوتشكاريوف: جئتك يا سيدتي، بعبدك الذي ترينه، لم يقع أحد في العشق الذي وقع فيه مطلقاً. الله يستر، لا أريد ذلك حتى لعدوّي.

بودكليسين: (يلكز من يده، ويقول بخفوت) أوه، يا أخ، زودتها كثيراً!..

كوتشكاريوف: (له) لا بأس، لا بأس. (لها، بخفوت) كوني أجرأ. إنه وديع جداً. حاولي أن تكوني معه على أكثر ما يمكن من الطلاقة. يعني، اقلبي حاجبيك بهذا الشكل، خفّضي بصرك، ارفعيه عليه، السافل، أو مطي كتفك بشكل ما، ودعي هذا الرذيل، يرى! خسارة إنك لم تلبسي فستاناً بردنين قصيرين. ولكن هذا جميل، على كل حال. (بصوت مسموع). طيب، سأترككم في صحبة لطيفة! لحظة لألقي نظرة على غرفة الطعام عندكم، وعلى المطبخ. يجب أن أدبّر الأمور. بعد قليل سيأتي النادل الذي أوصيته ليخدمنا في العشاء. وقد تكون زجاجات النبيذ قد وصلت. إلى اللقاء! (لبودكليسين). شد حيلك، تجرّأ أكثر. (يخرج).

المشهد الرابع عشر

(بودكليسين و آغافيا تيخونوفنا).

آغافيا تيخونوفنا: تفضل بالجلوس.

(يجلسان ويصمتان).

بودكليسين: أتحبين الركوب، يا سيدتي؟

آغافيا تيخونوفنا: ماذا تقصد بالركوب؟

بودكليسين: في الريف كم يحلو ركوب الزورق صيفاً!

آغافيا تيخونوفنا: نعم، أحياناً نتنزه مع الأصحاب.

بودكليسين: غير معروف أي صيف سيكون هذا العام.

آغافيا تيخونوفنا: حبذا لو كان لطيفاً.

(الاثنان يصمتان).

بودكليسين: أية زهور تحبين أكثر يا سيدتي؟

آغافيا تيخونوفنا: التي لها أريج أكثر، زهور القرنفل.

بودكليسين: السيدات تناسبهن الزهور كثيراً.

آغافيا تيخونوفنا: نعم، هواية تحلو للنفس.

(صمت).

آغافيا تيخونوفنا: في أية كنيسة صليت يوم الأحد الماضي؟

بودكليسين: في كنيسة فوزنيسينسكي. وقبل أسبوع صليت في كاتدرائية كازان. على العموم، لا يهم في أي كنيسة يصلي المرء. سوى أن الزينات فيها أجمل.

(صمت، بودكليسين ينقر بأصابعه على الطاولة).

عن قريب سيحل موعد الحفلة في ايكاترينغوف.

آغافيا تيخونوفنا: نعم، أظن بعد شهر.

بودكليسين: وحتى أقل من شهر.

آغافيا تيخونوفنا: لابد أن تكون حفلة ممتعة.

بودكليسين: اليوم اليوم الثامن من الشهر. (يعد بأصابعه) التاسع، العاشر، الحادي عشر... بعد اثنين وعشرين يوماً.

آغافيا تيخونوفنا: تصور، قريب جداً!.

بودكليسين: وأنا لم أحسب هذا اليوم.

(صمت)

أي شعب جسور هذا الشعب الروسي!

آغافيا تيخونوفنا: كيف!

بودكليسين: أقصد الشغيلة. واحد يقف في الأعلى تماماً. كنت أمر أمام البيت، فرأيت ملاطاً هناك، ولا يخاف شيئاً.

آغافيا تيخونوفنا: غير معقول! في أي مكان؟

بودكليسين: في الطريق الذي أسلكه كل يوم في الذهاب إلى الدائرة. فأنا كل يوم أذهب للدوام.

(صمت. ويعود بودكليسين ينقر بأصابعه من جديد، وأخيراً يتناول قبعته، وينحني مودعاً).

آغافيا تيخونوفنا: يعني تنصرف...

بودكليسين: نعم، اعذريني، ربما أضجرتك.

آغافيا تيخونوفنا: مستحيل! على العكس يجب أن أشكرك على تمضية الوقت بهذا الشكل.

بودكليسين: (مبتسماً) بينما، في الحقيقة، ظننت أنني أضجرتك.

آغافيا تيخونوفنا: لا، بالفعل.

بودكليسين: طيب، إذا كان لا، فاسمحي لي أن أزورك مرة أخرى، في إحدى الأماسي...

آغافيا تيخونوفنا: مسرورة جداً.

(يتبادلان الانحناءات، بودكليسين ينصرف).

المشهد الخامس عشر

(آغافيا تيخونوفنا وحدها).

أي رجـل معتبر! الآن فقط عرفته جيداً. حقاً، لا يمكن إلا أن تقع في حبـه. متواضع وحصيف. وصديقـه كان محقاً في قوله قبل حين. خسـارة فقط إنه انصرف بهـذه السرعة، بينما كنت أريـد أن أستمع إليه أكثر. ما ألطف الحديث معه! المهم واللطيف فيه أنه لا يتكلم أبداً كلامـاً فارغاً. وكنت أيضاً أريد أن أقول له كلمة أو كلمتين، ولكنني تهيبـت، بصراحـة، وصـار قلبي يدق بسرعـة... رجل ممتـاز حقاً! لأذهب إلى عمتي، وأحكي لها (تخرج).

المشهد السادس عشر

(بودكليسين و كوتشكاريوف، يدخلان).

كوتشكاريوف: و لِمَ ذهابك إلى البيت؟ أي سخافة هذه! لِمَ إلى البيت؟

بودكليسين: ولماذا أبقى هنا؟ قلت كل شيء حسب الأصول.

كوتشكاريوف: يعني فتحت قلبك لها؟

بودكليسين: إلا هذا، لم أفتح قلبي بعد.

كوتشكاريوف: يا سلام! لماذا لم تفتحه؟

بودكليسين: كيف تريدني أن أعلن لها دفعة واحدة «دعيني أتزوجك يا سيدتي» دون مقدمات عن أشياء أخرى؟

كوتشكاريوف: ماهي التوافه التي تحدثت عنها طوال نصف ساعة؟

بودكليسين: طيب، تحدثنا عن كل شيء، وأنا مرتاح جداً بصراحة، قضيت الوقت بمتعة كبيرة.

كوتشكاريوف: طيب، اسمع، احكم بنفسك متى سنلحق أن تقوم بكل هذا؟ بينما يجب علينا أن نذهب إلى الكنيسة بعد ساعة لعقد القران.

بودكليسين: هل جننت؟ اليوم عقد القران!

كوتشكاريوف: و لِمَ لا؟

بودكليسين: اليوم عقد القران!

كوتشكاريوف: ولكن أنت الذي قطعت العهد، وقلت سأتزوج حالما يطرد الخطاب.

بودكليسين: وأنا الآن أيضاً عند عهدي. ولكن ليس حالاً. بعد شهر، على الأقل. يجب أن أعطي فترة استراحة.

كوتشكاريوف: لشهر!

بودكليسين: نعم، بالطبع.

كوتشكاريوف: هل فقدت عقلك أم كيف؟

بودكليسين: نعم، لا يمكن أقل من شهر.

كوتشكاريوف: ولكنني أوصيت النادل على عشاء، يا بليد! طيب، أرجوك، يا إيفان كوزميتش، لا تعاند، يا روحي، وتزوج الآن.

بودكليسين: أرجوك، يا أخي، ما هذا الذي تقوله؟ كيف الآن؟

كوتشكاريوف: إيفان كوزميتش، أتوسل إليك، إذا كنت لا تريد لنفسك، فلخاطري على الأقل.

بودكليسين: ولكن غير ممكن، وحق الرب.

كوتشكاريوف: ممكن، يا روحي، كل شيء ممكن. طيب، أرجوك، لا تركب رأسك، يا قلبي!

بودكليسين: ولكن غير ممكن فعلاً. فيه إحراج. إحراج خالص.

كوتشكاريوف: ماهو الإحراج؟ من قال لك هذا؟ احكم بنفسك، فأنت رجل ذكي. وأنا أقول لك ذلك لا تزلّفاً إليك، ولا لأنك رئيس شعبة، بل عن حب لا غير... طيب، كفاية، يا روحي، قرر، وانظر بعين الرجل الحصيف.

بودكليسين: لو كان ذلك ممكناً لما...

كوتشكاريوف: إيفان بافلوفيتش! يا حياتي، يا روحي! هل تريد أن أركع أمامك؟

بودكليسين: و لِمَ هذا؟...

كوتشكاريوف: (يركع) طيب، ها أنا ذا راكع! ها أنت ترى، أتوسل إليك. لن أنسى فضلك مدى العمر، لا تعاند، يا روحي!

بودكليسين: غير ممكن، يا أخ، غير ممكن حقاً.

كوتشكاريوف: (ينهض، غاضباً) خنزير!

بودكليسين: تفضل، اشتم كما تريد.

كوتشكاريوف: غبي! لم أر مثلك في حياتي.

بودكليسين: اشتم، اشتم.

كوتشكاريوف: لمن إذاً جاهدت، لأي شيء بذلت قصارى جهدي؟ كل ذلك لمنفعتك، أيها الأحمق. فأي مصلحة لي بذلك؟ سأتركك حالاً، فماذا يهمني؟

بودكليسين: ومن طلب منك أن تتعب نفسك؟ تفضل، اتركني.

كوتشكاريوف: ولكنك ستهلك، بدوني لا تستطيع أن تفعل شيئاً، إذا لم أزوجك، ستظل أحمق طول عمرك.

بودكليسين: وما يخصك في هذا؟

كوتشكاريوف: أنا أسعى لصالحك، يا رأس الخشب.

بودكليسين: لا أريد مساعيك.

كوتشكاريوف: طيب، اذهب في ستين داهية!

بودكليسين: طيب، اذهب.

كوتشكاريوف: هيا، اطلع.

بودكليسين: طيب، سأذهب.

كوتشكاريـوف: اذهب، اذهب، عسى أن تنكسر رجلك حالاً. مـن صميم قلبي أتمنى لك أن يغـرز عربجي سكران عريش عربته في لوزتـك! أنت خرقة، لا رجل! أقسم لك أن كل شيء بيننا قد انتهى، فلا ترني وجهك بعد الآن.

بودكليسين: طيب. لن أريك. (ينصرف).

كوتشكاريوف: إلى جهنم، سلم على الذي هناك! (يفتح الباب، ويصيح في أثره) أحمق!...

المشهد السابع عشر

(كوتشكاريوف لوحده، يسير رواحاً ومجيئاً في انفعال شديد).

معقول أن الدنيا شهدت في يوم ما مثل هذا الرجل؟ أحمق حقيقة! أي نعم، ولكن الحقيقة أنا أيضاً لا أصنّف مع الرجال الأسوياء. قولوا لي مــن فضلكم وأنا أستشهدكم جميعاً، ألست أهبل، ألست أحمق. لأي شــيء أجاهد، أصيح، حتى جفّــت حنجرتي؟ قولوا لي: من هو بالنسبة لي؟ قريبي؟ وهل أنا له دادة، عمة، حماة، عرابة؟ أي شيطان، أي شيء جعلني أتعب نفسي من أجله، ولا يقر لي قرار، عساه يروح في داهيــة؟ لا أدري لأي شــيء وحــق الشيطان! حاولــوا أن تسألوا إنسانــاً لماذا يفعل هــذا أو ذاك! يا وضيع! يا بوز الحقــارة والسفالة! بودّي لو أمسكك، يا بهيمة الغباء، وأنقرك بإصبعي على أنفك، على أذنيــك، على فمك، على أسنانك، وعلى كل كيانك! (ينقر بأصابعه عدة نقرات في الهواء بغضــب). والمزعج أنه خرج غير مبالٍ بشيء، صافيــاً مصفى وكأن لم يكن شيء، وهذا الذي لا يحتمل! وسيذهب إلى شقتــه، ويتمدد، ويشعل غليونه. أي مخلوق كريه! أحياناً تصادف سحنــات كريهة، ولكــن لا يمكنك أن تبتكر مثــل سحنته، مستحيل أن تركبها، مستحيل، والله! ولكن سأذهب قصداً، وأعيده، الخامل. ولن أتركه يزيغ، أنا ذاهب لأجلب السافل.

المشهد الثامن عشر

(آغافيا تيخونوفنا تدخل).

هـذا الخفقان الشديد في قلبي يصعب علـيّ أن أدركه حقاً. أينما أديـر وجهي أرى إيفان بافلوفيتشـ ماثلاً أمامي. صحيح ما يقال، لا مفـر من القدر. قبل حين، كنـت أريد أن أفكر في شيء آخر، والآن، مهمـا وبأي شيء اشتغلـت ألف خيوطاً أو أخيط محفظـة أجد إيفان بافلوفيتشـ يمثل أمامي. (تصمت قليـلاً) ها أنذا أجابه أخيراً بتغير في حالتي! سيأخذونني، ويقودونني إلى الكنيسة... وبعد ذلك يتركونني لوحـدي مع رجل. أوف! كياني يرتجف كله. وداعاً، يا حياة بكارتي السابقـة! (تبكي) كـم من سنة قضيتها بهـدوء... عشت، وعشت، والآن علـيّ أن أتزوج! المشاغل وحدهـا ما أكثرها: أطفال، صبيان، مشاكسـون ميالـون إلى العراك، وقـد أرزق ببنـات أيضاً. ويكبرن، وتعـالي زوجيهن. لطيف، لو تزوجن طيبـين، ولكن ماذا لو تزوجن سكـيراً أو شخصـاً مستعـداً في الحال أن يقامر بكل مـا لديه وعليه! (تعـود شيئاً فشيئاً إلى النحيب مجدداً) لم ألحق أن أتمتع بحالة العزوبة، حتـى الآن لم أتم السابعة والعشرين... (تغير صوتها) لماذا تأخر إيفان بافلوفيتش هذه المدة الطويلة؟

المشهد التاسع عشر

(آغافيا تيخونوفنا و بودكليسين)..

(كوتشكاريوف يدفعه من الباب إلى المسرح بكلتا يديه).

بودكليسين (يتلعثم): جئت، يا سيدتي، لأوضح لك أمراً... أودّ فقط أن أعرف قبل هذا ألا يبدو ذلك غريباً لك؟

آغافيا تيخونوفنا: (تخفض بصرها) ما هو؟

بودكليسين: لا، يا سيدتي، قولي مقدماً ألا يبدو غريباً لك؟

آغافيا تيخونوفنا: (في نفس الوضعية) لا أقدر أن أعرف ما هو.

بودكليسين: ولكن أجيبي هل يبدو لك غريباً بالفعل ما سأقول لك.

آغافيا تيخونوفنا: أرجوك، كيف يمكن أن يكون غريباً، كل ما أسمعه منك لطيف.

بودكليسين: ولكن هذا لم تسمعيه مني قط.

(آغافيا تيخونوفنا تغض بصرها أكثر، وفي تلك اللحظة يدخل كوتشكاريوف خلسة، ويقف وراء كتفيه).

بودكليسين: المسألة... ولكن الأحسن أن أخبرك فيما بعد.

آغافيا تيخونوفنا: ولكن ما هو؟

بودكليسين: هو... بصراحة كنت أريد أن أعلنه لك الآن. لكن ما زلت متشككاً.

كوتشكاريوف (مع نفسه، طاوياً ذراعيه): أوه، يا ربي، أي

رجـل هذا! هذا مجرد جزمة نسائية باليـة، لا إنسان بل أضحوكة من الإنسان، هجاء للإنسان.

آغافيا تيخونوفنا: ولماذا تتشكك؟

بودكليسين: الشك يساورني على أية حال.

كوتشكاريوف (بصوت مسموع): ما أسخف هذا، ما أسخفه! ولكنـك يا سيدتي ترين، أنه يطلب يدك، يريد أن يعلن إنه لا يستطيع العيشـ بدونـك، لا يستطيع البقـاء في الوجود. وهـو لا يسأل إلا: موافقة أنت على إسعاده؟..

بودكليسـين: (يـكاد يكـون مذعـوراً، يلكـزه وينبسـ ببعض الانفعال) أرجوك، ما هذا منك!

كوتشكاريـوف: كيـف، إذاً، يا سيدتي! هـل تعزمين على توفير السعادة لهذا العبد الفاني.

آغافيـا تيخونوفنا: لا أجرؤ أبـداً أن أتصور أن في إمكاني أن أوفر سعادة... ولكنني موافقة.

كوتشكاريوف: رائع! عظيـم! كان الأحرى أن يكون ذلك منذ زمان. هاتا يديكما!

بودكليسين: حالاً! يريد أن يسر له شيئاً في أذنه. كوتشكاريوف، يلوح له بقبضته، ويعقد حاجبيه. (بودكليسين يعطي يده).

كوتشكاريـوف: (يجمـع اليديـن) الله يباركـكمـا!. أنـا موافق وأصـادق على رباطكمـا. الزواج قضيـة مهمة... وهـو ليس مثل استئجـار عربـة، وركوبها إلى حيث يريـد المرء. إنه التـزام من نوع مختلـف تماماً، إنـه التزام... طيـب، ليس لي وقـت الآن، وفيما بعد سأخـبرك أي التزام هو. حسناً، يا إيفـان بافلوفيتش، قبّل عروستك. الآن تقدر أن تفعل ذلك، بل الآن يجب أن تفعل ذلك.

(آغافيا تيخونوفنا تخفض بصرها).

لا شيء، لا شيء، يا سيدتي. هذا ما ينبغي. دعيه يقبّلك.

بودكليسين: نعم، يا سيدتي، لازم أن تسمحي لي الآن. (يقبلها ويمسك يدها) أية يد جميلة! لماذا لك هذه اليد الجميلة يا سيدتي؟... نعم، اسمحي لي، يا سيدتي، أريد أن أعقد القران عليك الآن، والآن بكل تأكيد.

آغافيا تيخونوفنا: كيف الآن؟ ربما سيكون ذلك استعجالاً بالغاً.

بودكليسين: لا أريد أن أسمع شيئاً! أريد أسرع، ليعقد القران في هذه اللحظة.

كوتشكاريوف: أحسنت! ممتاز! رجل نبيل. وبصراحة كنت دائماً أنتظر منك الكثير في المستقبل! بالفعل، يا سيدتي، استعجلي الآن، والبسي بسرعة. وإذا أردت الحقيقة فقد أرسلت في طلب مركبة، ودعوت الضيوف. وجميعهم الآن في الطريق إلى الكنيسة مباشرةً. وملابس الزفاف جاهزة عندك على حد معرفتي...

آغافيا تيخونوفنا: نعم، جاهزة منذ زمان، سألبس حالاً.

المشهد العشرون

(كوتشكاريوف و بودكليسين).

بودكليسين: شكراً، يا أخ! الآن أستطيع أن أقدر أية خدمة قدمت لي. ما كان أبي الحقيقـي سيفعل ما فعلته أنت. وأنا متأكد أنك كنت تتصـرف بوحي الصداقة. شكراً، يـا أخ، سأظل أتذكر فضلك طول عمري. (متأثراً) في الربيع القادم سأزور قبر أبيك مؤكداً.

كوتشكاريوف: لا بأس، يا أخ، أنا نفسي مسرور، طيب، تقرب لأقبلـك. (يقبله من هذا الخد ثـم من الخد الآخر) حفظك الله لتعيش في رغـد (يتبادلان القبلات) في راحة واكتفـاء، وأن يرزقك بالكثير من الأطفال...

بودكليسين: أشكرك، يا أخ، الآن فقط عرفت أخيراً ماهي الحياة. الآن انفتـح أمامي عالم جديد تمامـاً. الآن أشعر أن كل شيء يتحرك، يحيـا، يشعر، فيتصاعد منه البخـار، هكذا، بحيث لا تعرف نفسك ماذا يجري. من قبل لم أكن أرى شيئاً من هذا، ولا أفهم، يعني كنت مجـرد إنسان محروم من أية معرفـة، لم أكن أناقش، ،لا أتعمق، وكنت أعيش كأي إنسان يعيش.

كوتشكاريـوف: مسـرور، مسرور. الآن أنـا ذاهب لأرى كيف رتبـوا المائـدة، وسأعـود حـالاً. (جانباً) الأفضـل أن أخبـئ قبعته، للاحتياط. (يتناول القبعة ويأخذها معه).

المشهد الحادي والعشرون

(بودكليسين وحده).

صحيح ماذا كنت إلى هذه اللحظة؟ هل كنت أفهم معنى الحياة؟ لم أكن أفهم، لم أكن أفهم شيئاً. وماذا كانت حياتي العزوبية؟ ماذا كنت أساوي، مـاذا كنت أعمل؟ كنت أعيش، وأعيش، وأخدم، وأتردد علـى الدائرة وأتغدّى، وأنام، وباختصار كنـت أتفه إنسان في الدنيا وأكثر الناس ابتذالاً. والآن فقط، أرى كم هم حمقى أولئك الذين لا يتزوجـون، ولكن إذا أمعنت النظر وجـدت كم من الناس ما يزالون في عماهم هذا. ولو كنت ملكاً أو قيصراً لأصدرت أمري بأن يتزوج الجميـع، كلهـم دون استثناء، فـلا يبقى في دولتي أعـزب واحد... صحيح، يصعب أن أتصور، بعد بضع دقائق أصير متزوجاً. وأتذوق النعيم الذي لا يوجد إلا في الحكايات، والذي لا يمكن أن تصفه، ولا تجد الكلمات للتعبير عنه. (بعد صمت قصير) مع ذلك، فمهما قلت، فإنه لشيء رهيب، إذا فكرت في المسألة جيداً. فأنت على كل حال، ستربط نفسك طول الحياة، طول العمر وبعد ذلك لا تنفع ذرائع ولا حجـج، ولا توبة، ولا حاجة. حسم الأمر وانتهى إلى الأبد الآبدين. وحتـى الآن لا يمكن التراجع إطلاقـاً، بعد دقيقة، سيعقد القران، ولا رجـوع عن الموضوع. وصلت المركبـة وكل شيء جاهز وعلى أهبة الاستعـداد. يعني صحيح لا يمكن الرجوع عـن الموضوع؟ بالطبع، لا يمكن. الناس واقفـون على الأبواب وفي كل مكان. وسيسألونك مـا هذا؟ ممنوع. ولكـن الشباك مفتوح. ماذا لو مـن الشباك؟ لا، لا يجـوز، غير لائق، والشبـاك مرتفع أيضاً. (يتقدم مـن الشباك) أوه،

ليس مرتفعاً جداً، في مستوى الأساس فقط، والأساس واطئ، لا، لا يمكن. حتى القبعة ليست معي. وكيف أخرج بدون قبعة؟ غير لائق. طيب، وماذا تعني بدون قبعة؟ وماذا لو أجرب؟ أجربها؟ (يقف على قاعدة الشباك، بعد قوله: «باركني، يارب» يقفز إلى الشارع. يتنحنح ويتأوه وراء خشبة المسرح)، أوه، صحيح مرتفع! هاي، يا عربجي!

صوت العربجي: إلى أين؟

صوت بودكليسين: إلى كانوفكا، قرب جسر سيمينوفسكي.

صوت العربجي: عشرة كوبيكات، بدون بقشيش.

صوت بودكليسين: موافق. تحرك!

(تتردد قرقعة عربة مبتعدة).

المشهد الثاني والعشرون.

(آغافيا تيخونوفنا تدخل في ثوب العرس خجولة مطرقة الرأس).

أنــا نفسي لا أعرف مــاذا يحصل لي! من جديـد أشعر بالخجل، وأرتجـف بكل كيـاني. آه! أتمنـى أن لا يكـون الآن في الحجرة، ولو لدقيقـة، أتمنى أن يكـون قد خرج لشأن من الشـؤون! (تجيل بصرها بتهيـب) نعم، أين هـو؟ لا يوجد أحد، إلى أين خـرج؟ (تفتح الباب المـؤدي إلى المدخل، وتقول لمن هناك) أيـن خرج إيفان بافلوفيتش يا فيكلا؟

صوت فيكلا: موجود هناك.

آغافيا تيخونوفنا: وأين هناك؟

فيكلا (داخلة): كان جالساً هنا، في الحجرة.

آغافيا تيخونوفنا: ولكنه غير موجود، ها أنت ترين.

فيكلا: لم يخرج من الحجرة أبداً. كنت جالسة في المدخل.

آغافيا تيخونوفنا: ولكن أين هو؟

فيكلا: لا أدري أين. ربما خرج من منفذ آخر، من السلم الخلفي، أم لعله يجلس في حجرة أرينا بانتيليمونوفنا.؟

آغافيا تيخونوفنا: يا عمة، يا عمة!

المشهد الثالث والعشرون

(المرأتان مع أرينا بانتيليمونوفنا)..

أرينا بانتيليمونوفنا: (في ثياب أنيقة) ماذا هناك؟

آغافيا تيخونوفنا: إيفان بافلوفيتش عندك؟

أرينا بانتيليمونوفنا: لا، لا بد أن يكون هنا، لم يأتِ إلى حجرتي.

فيكلا: وفي المدخل لم يكن أيضاً. كنت جالسة هناك.

آغافيا تيخونوفنا: غير موجود هنا إطلاقاً، هل أنتما تريان.

المشهد الرابع والعشرون

(نفس الأشخاص مع كوتشكاريوف)..

كوتشكاريوف: ماذا حصل؟

آغافيا تيخونوفنا: إيفان كوزميتش غير موجود.

كوتشكاريوف: كيف غير موجود؟ خرج؟

آغافيا تيخونوفنا: لا و لم يخرج أيضاً.

كوتشكاريوف: كيف غير موجود و لم يخرج أيضاً؟

فيكلا: وأين يمكن أن يروح؟ هذا لا يدخل في عقلي. طوال الوقت كنت جالسة في المدخل، و لم أترك مكاني.

أرينا بانتيليمونوفنا: من غير الممكن أن يطلع من السلم الخلفي أبداً.

كوتشكاريوف: وكيف إذاً؟ ومن غير الممكن إطلاقاً أن يختفي، إذا لم يخرج من الحجرة. ربما اختبأ؟ يا إيفان بافلوفيتش! أين أنت؟ لا تتحامق، يكفي، اخرج بسرعة! ما هذه الألاعيب؟ وقت التحرك إلى الكنيسة حان منذ زمان. (ينظر وراء الدولاب، بل وينظر من طرف عينه تحت المقاعد) غير مفهوم! من غير الممكن أن يكون قد خرج، غير الممكن إطلاقاً. إنه هنا. وقبعته في الحجرة المجاورة أيضاً. وضعتها هناك خصيصاً.

أرينا بانتيليمونوفنا: هل نسأل الخادمة؟ كانت طوال الوقت في الشارع، فلربما تعرف... دونياشكا! دونياشكا!

المشهد الخامس والعشرون

(نفس الأشخاص مع دونياشكا)..

أرينا بانتيليمونوفنا: أين إيفان بافلوفيتش ألم تريه؟

دونياشكا: قفز من الشباك.

(آغافيا تيخونوفنا تصرخ، وتبسط يديها).

الثلاثة جميعاً: من الشباك؟

دونياشكا: نعم، وبعد أن قفز استقل عربة، ورحل.

أرينا بانتيليمونوفنا: أصحيح ما تقولينه؟

كوتشكاريوف: تكذب! غير ممكن!

دونياشكا: والله، قفز! والبائع في دكان الخرداوات رآه أيضاً، اتفق مع العربجي على عشرة كوبيكات، ورحل.

أرينا بانتيليمونوفنا: (تتقدم من كوتشكاريوف). ما هذا، يا حضرة؟ ضحك على الذقون؟ عنّ لكم أن تضحكوا منا؟ هل تريد أن تفضحنا أمام الناس؟ أنا الآن في العقد السادس من عمري، ولم أشهد حتى الآن مثل هذا العار. على ذلك سأبصق بوجهك، يا حضرة المحترم، إذا أنت إنسان شريف. ولكنك سافل بعد هذه الفعلة، وإن كنت إنساناً شريفاً. تشين فتاة أمام العالم كله! أنا من أصل فلاحي، ولكني لا أقدم على ذلك. وتقول إنك نبيل! الظاهر أن نبلك لا يكفي إلا للخساسة والنصب، لا أكثر (تنصرف غاضبة، وتأخذ معها العروسة).

(كوتشكاريوف يقف كالمصعوق).

فيـكلا: ها؟ هـذا الذي يعرف كيـف يقوم بالأمـر! يطبخ عرساً بدون خطابة! طيب، ليكن خطابي مَنْ هب ودبّ، منفوشي الريش، وغير ذلك، ولكن أن يطفروا من الشباك؟ لا والعياذ بالله.

كوتشكاريوف: هذا غير معقول، لابد في المسألة خطأ، سأجري وراءه وأعيده! (يخرج).

فيكلا: أي نعم، يعـوده! كأنك لا تعرف كيف تتم الخطبة؟ شيء آخر لو هرب من الباب، وإن يطفر العريس من الشباك يعني خلاص! ومع السلامة!

****